وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أكلي محند أولحاج – البويرة
كلية العلوم الانسانية والاجتماعية
قسم: التاريخ

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر (2) تخصص تاريخ وسيط الموسومة بـــ:

الدولة المدرارية

(دراسة سياسية واقتصادية واجتماعية 140 هـ/345هـ-707م/958م))

إعداد الطلبة:

- سارة شريفي
- رحاب شين

إشراف الأستاذ:

- ياسين بودريعة

السنة الجامعية: 1435هـ/1536هـ الموافق لـ 2014م/2015م

شكر وتقدير

نشكر الله عز وجل ونحمده كثيرا الذي هدانا إلى الطريق الصحيح، ووجهنا لطلب العلم والمعرفة، والذي وفقنا لإتمام هذا العمل المتواضع، وما توفيقنا إلا بإذنه لقوله تعالى " إن تشكروا الله على نعمه يزدكم " صدق الله العظيم.

ولأن الاعتراف لأهل الفضل واجب يطوق صاحبه فإننا نزف أسمى آيات الشكر والامتنان إلى أستاذنا المشرف" ياسين بودريعة" على ما بذله من جهد ليخرج هذا العمل على هذه الصورة.

والشكر موصول إلى كافة أساتذة قسم التاريخ معهد العلوم الإنسانية والاجتماعية على ما بذلوه معنا طوال سنوات الدراسة الجامعية.

إلى كل طلبة قسم التاريخ، وبالأخص دفعة 2015/2014.

وفي الختام نشكر كل من ساعدنا على إنجاز هذا العمل من قريب أو بعيد.

إهداء

إلى: ينبوع الحنان ومنهل العطاء بلا حدود أمي "رزيقة".

إلى: معلمي الأول وسندي الدائم أبي "عزالدين".

إلى من هم قطعة من روحي وجزء من كياني أخوي كريم وخلود.

إلى زوجة أبي وشقائق روحي إخوتي: نادية، أمال، محمد، فتحي، حمادة، عصام.

إلى من منحوني الحياة بعد والداي وترعرعت تحت أضواء عيونهم ونبضات قلوبهم،

إلى جدي وجدتي أطال الله عمرهم.

إلى من وفروا لي الدعم ومنحوني أسمى معاني الحب أصحاب القلوب الكبيرة خالاتي: فاطمة وابنها أيمن، فايزة وأبناءها اية، مروان، ورزوق، أنيسة وبناتها: مرام وونام، نوال وأبنائها: زاكي ورجاء، زهرة وابناءها:الياس، هبة وأميمة، حبيبة وفلذة كبدها أمين.

إلى خالي الوحيد إبراهيم وزوجته وبناته: آلاء وبثينة.

إلى أزواج خالاتي، وخاصة خالي يوسف.

إلى عماتي: زهيرة وحورية وجميع أولادهم.

إلى الارواح الطاهرة التي اشتاق لها القلب عمي "مرزاق"والجدة "خدوجة" رحمهم الله.

ولا أنسى من أحس بالأمان معهمزوجة عمي "زهية" وأبناء عمي: كمال، ياسين، عقيلة واولادها: عزيز، عصمان، مرزاق، والصغيرة نهال.

إلى من وقفوا الى جانبي في الحياة ولم يبخلوا بمساندتي، أعز انسانة عمتي "فاطمة" اطال الله عمرها وأبناءها: العلجة، فتيحة مرزاق، مخلوف وزوجته وبسمة المنزل "سرين".

إلى منى القلب التي دعمتني بنصائحها القيمة، عمتي كريمة وابنائها: إلياس، محمد، إسحاق.

إلى صديقاتي ورفيقات أيامي في الدراسة، ومن تقاسمت معهم أحلى ايام عمري: جهاد، أمينة، خديجة.

إلى العزيزات الغاليات على قلبي: سليمة وفتيحة، إلى الصديقة قبل ان تكون القريبة فاطمة.

إلى توأم روحي قدوتي وملجئي فيالحياة: حياة حفظها الله.

إلى كل أساتذة وتلامذة متوسطة " سي عبد الله بربار".

وإلى كل الأساتذة والمعلمين من التعليم الابتدائي إلى المرحلة الجامعية، الذين بذلوا جهودا في نجاحي، فكانوا بحق طريق المرور إلى النجاح وأخص بالذكر (نسيمة زعموم، ليلى حاج علي، بعزيز رابح).

إلى من قاسمتني هذا العمل صارة وعائلتها، الى كل الزميلات والزملاء.

أهدي ثمرة جهدي هذا.

(((ش – رحاب)))

إهداء

أهدي هذا العمل المتواضع إلى من جنة الرحمن تحت قدميها

إلى أعز إنسان في الكون وقرة عيني إلى والدتي أمي الحبيبة

أطال الله في عمرها.

وإلى من أعانني ولم يبخل علي بشيء إلى والدي العزيز أطال

الله في عمره.

وإلى من يضلون دائما إلى جنبي لمساعدتي إلى إخوتي

الكرام توفيق ونور الدين وعبد المالك أنعم الله عليهم بالصحة

والعافية.

وإلى أخواتي العزيزات امينة ووداد وحفيظة.

و إلى أعز الصديقات

نسرين وأمينة ووفاء

وإلى الذي لم يبخل بنصائحه الأستاذ الفاضل بودريعة ياسين

(((ش. سارة)))

هدية

مقدمة:

شهدت بلاد المغرب عدة اضطرابات في القرن الثاني هجري، نظرا لظهور الفرق الإسلامية، وقد كان لظهور هذه الفرق عدة أسباب منها: بعد المنطقة عن مركز الخلافة وسوء معاملة بعض ولاة الخلافة لأهل المنطقة، وقد كانت نتيجة هذه الاضطرابات قيام عدد من الدول المستقلة عن الخلافة العباسية ذات مذاهب مختلفة، من بين هذه الدول، دولة بني مدرار موضوع دراستنا.

فقد تأسست هذه الدولة سنة 140هـ-707م، وكانت عاصمتها سجلماسة التي تقع جنوب المغرب الأقصى حاليا، وقد اتخذت هذه الدولة المذهب الخارجي الصفري كمذهب لها أما سكانها فأغلبهم من قبيلة مكناسة البربرية وبطونها، وكان أول من حكم هذه الدولة هو (عيسى بن يزيد الأسود).

فبقيام الدولة المدرارية شهد جنوب المغرب الأقصى حاليا حضارة وازدهاراً في كافة المجالات الاقتصادية والسياسية والثقافية والاجتماعية، ويشير بعض المؤرخين إلى غنى أهل سجلماسة بسبب وقوعها على طريق تجاري هام، وهو طريق مدينة غانة الذي يعتبر المصدر الرئيسي لتجارة الذهب، حيث كان هذا الذهب يسبك به عملة سجلماسة التي استمر التعامل بها حتى بعد القضاء على حكم بني مدرار.

وقد استمرت فترة حكم بني مدرار قرابة القرنين من الزمن حتى تغلب عليهم "عبيد الله الشيعي" الذي قتل آخر حكام بني مدرار (اليسع بن ميمون) سنة 296هـ، إلاّ أنّ الحكم في يد بني مدرار استمر مع التبعية الاسمية للدولة الفاطمية حتى سنة345هـ.

- ❖ **أسباب اختيار الموضوع:** كان منها أسباب ذاتية وأخرى موضوعية
- ❖ **الأسباب الذاتية:**

الميول الشخصي إلى هذا الموضوع المتمثل في الدولة المدرارية بسجلماسة دراسة تاريخية سياسية اقتصادية واجتماعية، هذا إضافة إلى تصويبات وتوجيهات الاستاذ المشرف.

الأسباب الموضوعية:

كما أردنا أن تكون هذه الدراسة المتواضعة بمثابة مرآة تعكس لأجيالنا المستقبلية مكانة الدولة المدرارية، وترد على من يريد تشويه تاريخها وأهميتها،وإبراز المكانة التي وصلت إليها هذه الدولة من إنشاء كيان سياسي قوي في منطقة نائية بالمغرب الإسلامي، هذا إضافة إلى إلقاء الضوء على الدور الكبير الذي قامت به هذه الدولة في سبيل تنشيط حركة التعريب بين البربر، ونشر الإسلام في بلاد السودان، كما أن الموضوع نادر الدراسة من قبل السابقين.

هذا ما جعلنا نطرح الإشكالية الرئيسية التالية:

- **ما هو وضع دولة بني مدرار بين الدويلات القائمة بالمغرب الإسلامي خلال القرن الرابع الهجري؟**

للإجابة على هذه الإشكالية تم طرح هذه التساؤلات:

- ما هي ظروف قيام الدولة المدرارية؟
- ما مدى تأثير المذهب الخارجي على هذه الدولة؟
- من هو مؤسس هذه الدولة؟ وأين تأسست؟
- كيف كانت طبيعة علاقتها مع الدول المجاورة بالمغرب الإسلامي وخارجه؟
- كيف كانت أحوال هذه الدولة من الناحية الاجتماعية والاقتصادية؟
- متى سقطت دولة بني مدرار؟ وعلى يد من كان سقوطها؟

ولدراسة هذا الموضوع قمنا بوضع خطة منهجية بمقدمة وأربع فصول يتقدمهم الفصل التمهيدي الذي جاء بعنوان نشأة الخوارج انقساماتهم ودخولهم إلى بلاد المغرب، تحدثنا من خلاله عن فرق الخوارج باختصار، بما في ذلك فرقة الأزارقة والنجداة والإباضية وغيرها والأوضاع التي كانت سائدة في بلاد المغرب قبل دخول الخوارج والتي اعتبرناها كأسباب لذلك.

أما الفصل الأول فقد عنون بتأسيس الدولة المدرارية وانقسم بدوره إلى مبحثين أولهما حمل عنوان مرحلة الدعوة، قمنا من خلاله بإعطاء تعريف للمذهب الصفري إضافة إلى أهم المبادئ الصفرية ثم ثوارت الصفرية في المغرب.

أما ثاني مبحث عنون بمرحلة التمكين والاستقرار وتحدثنا فيه عن عدة عناصر بما في ذلك التعريف بموقع سجلماسة كما تحدثنا عن تأسيس دولة بني مدرار، إضافة إلى حكام هذه الدولة وجهودهم السياسية.

أما الفصل الثاني فحمل عنوان علاقات الدولة المدرارية وانقسم هو الآخر إلى مبحثين المبحث الأول عالجنا فيه علاقات هذه الدولة مع دول المغرب بما في ذلك علاقتها مع الدولة الرستمية والإدريسية ودولة الأغالبة، في حين جاء المبحث الثاني بعنوان العلاقات المدرارية مع دول خارج المغرب وعالج هذا المبحث علاقة هذه الدولة مع الدولة الأموية في الأندلس، إضافة إلى علاقة هذه الدولة مع الدولة العباسية ثم علاقتها مع بلاد السودان.

أما الفصل الثالث والأخير فقد جاء بعنوان الدور الاقتصادي والاجتماعي وسقوط الدولة وانقسم إلى مبحثين حمل المبحث الأول عنوان الدور الاقتصادي لدولة بني مدرار تحدثنا من خلاله عن الرعي والزراعة والصناعة في هذه الدولة إضافة إلى التجارة، أما المبحث الثاني والأخير عنون بالدور الاجتماعي وسقوط الدولة عالج هذا المبحث العناصر المكونة للمجتمع السجلماسي ثم العادات والتقاليد وأخيرا سقوط الدولة المدرارية.

وقد اتبعنا في هذا الموضوع المناهج العلمية التالية:

❖ **المنهج التاريخي الوصفي:**

الذي يهتم بوصف الأحداث وتسلسلها حسب الزمان والمكان، لأن هذا الموضوع جملة من الأحداث السياسية لا تتضح معالمها إلا باستكمال جميع عناصرها،

كوصف ثورات الصفرية مع الإباضية وبين الصفرية والعباسيين ومجريات أحداثها ونتائجها...الخ.

❖ **المنهج التحليلي النقدي:**

وقد اعتمدناه في دراسة المادة العلمية ونقدها وتحليلها بحثا عن حقيقة العلاقات المدرارية والوقوف على أبعادها الإيجابية والسلبية.

❖ **الهدف من الدراسة:**

هو إبراز الدور الذي لعبه الخوارج الصفرية في بلاد المغرب الإسلامي خاصة بعد تأسيسهم كيان سياسي تمثل في الدولة المدرارية، مع تحليل العلاقات التي ربطت بين هذه الدولة وجيرانها في المغرب الإسلامي لاستبيان المتحكم الرئيسي في هذه العلاقات.

❖ **الدراسات السابقة:**

أما فيما يخص الدراسات السابقة حول الموضوع فهي قليلة ما عدا دراسة "محمود إسماعيل عبد الرزاق" الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع هجري، إلا أن هذا المؤلف لم يتناول الموضوع بصورة مخصصة لدولة بني مدرار بسلجماسة بل كانت دراسته عن الخوارج عامة بما في ذلك الخوارج الصفرية والإباضية، أما الإشارات الأخرى التي وردت في المصادر حول دولة بني مدرار كانت قليلة نوعاً ما مقارنة بما ذكر حول الدويلات الأخرى.

❖ **عرض أهم المصادر والمراجع:**

- كتاب البكري المتوفي سنة 487هـ، "المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب"، وهو جزء من الكتاب المسالك والممالك، نشر دي سلان، المطبعة الحكومية، الجزائر، 1857، وجاء كتابه هذا عن وصف للمغرب الإسلامي وهو من أوثق المصادر استفدنا منه في تقسيم القبائل وأماكن تواجدها تحدث عن دولة بني مدرار حيث احتوى على معلومات قيمة عنها.

- أيضا كتاب ابن عذاري المراكشي المتوفي أواخر القرن الثامن هجري،"البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب" هو من اهم المصادر في دراسة بلاد المغرب ومن أقدمها أيضا، فاعتمدناه في كشف الكثير من الأخبار والمعلومات حول الموضوع.
- نفس الشيء نقوله عن كتاب ابن الأثير المتوفي سنة 630هـ،"الكامل في التاريخ" الذي اعتمد على مؤلفات المغاربة، فأفادنا في الحديث عن الخوارج ظهورهم وفرقهم كذلك تحدث عن بني مدرار.
- ايضا كتاب القلقشندي، شهاب الدين أبو العباس أحمد "صبح الأعشى"(ت 821)

وهو من أصل عربي وينتسب إلى قبيلة فزازة، وهو مصدر هام اعتمدناه في ذكر العديد من المعلومات والروايات عن الدولة المدرارية في جميع الجوانب.

- كتاب ابن الخطيب المتوفي 776هـ "تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط"،فقد اعتمدنا على الطبعة التي حققها أحمد عبادي المختار ومحمد إبراهيم الكتاني، دار الكتاب، الدار البيضاء 1964، وأفادنا كثيرا في العلاقات بين دولة بني مدرار مع غيرها من الدول، كما تحدث عن عدد من المدن والقبائل التي تهم الموضوع.
- كما ركزنا على تاريخ ابن خلدون المتوفي سنة 808هـ، المسمى بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، واعتمدنا طبعة حديثة لسلسلة العلوم الإنسانية، الجزائر، 1996م، ونقول عن هذا الكتاب ركيزة أساسية لمن يريد دراسة بلاد المغرب، حيث أفادنا في عدة جوانب، فقد تطرق إلى دولة بني مدرار وحكامها وقبائلها.

إضافة إلى بعض الكتب الجغرافية المهمة التي اعتمدناها في موضوعنا منها:

- كتاب ابن حوقل المتوفى سنة 367هـ" صورة الأرض" الذي تحدث عن موقع سجلماسة إضافة إلى توفره على معلومات قيمة عن المراكز التجارية بالمغرب.
- وكتاب ياقوت الحموي المتوفي سنة 626هـ، " معجم البلدان"، الذي لم يترك مدينة أو إقليم لم يشير إليه في كتابه هذا بأسلوب بسيط سهل ومفهوم.

أما أهم المراجع فهي كالتالي:

- عبد الزراق، محمود إسماعيل، الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع هجري.
- سالم، السيد عبد العزيز، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي.
- حسن إبراهيم، حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي.
- أبو زهرة، محمد، تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية.
- نهلة شهاب، أحمد، تاريخ المغرب العربي.

الصعوبات:

وكما هو معروف لا يخلو أي بحث من البحوث الأكاديمية من صعوبات وعراقيل مختلفة تواجه الباحث في سبيل الوصول إلى المعلومات.

ومن الصعوبات التي واجتنا في إنجاز هذا العمل:

- الإشارات الوجيزة في المصادر حول دولة بني مدرار هي قليلة نوعا ما، مقارنة بما ذكر حول الدويلات الأخرى، وما جاء بهذه الإشارات يعني بعض الجوانب، دون الجوانب الأخرى خاصة منها الفكرية.
- هذا إلى كثرة الروايات والآراء المختلفة حول حكام هذه الدولة وعلاقاتها مع غيرها من الدول المجاورة بالمغرب الإسلامي وخارجه، وهو ما جعل دراستنا تتناول عدداً من الآراء المحتملة التي نحاول بها تغطية ما أبهم من معلومات، إلا أنَّنا لا ننفي معلومات المصادر حتى ولو كانت ناقصة.

الفصل التمهيدي

نشأة الخوارج

انقساماتهم ودخولهم

إلى بلاد المغرب

اشتق هذا الاسم من الفعل "خرج" لأنهم خرجوا على علي بن أبي طالب رضي اللّه عنه بعد أن كانوا ضمن جيشه وأنصاره.[1]

والرأي الراجح أن بدية نواة الخوارج تعود إلى عهد النبي صلى اللّه عليه وسلم، ففي حديث أورده البخاري نقلا عن كتاب يحي بن إبراهيم اليحي عن أبي سعيد الخدري رضي اللّه عنه قال:« بينما نحن عند رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ـ وهو يقسم قسماً. إذ أتاه ذو الخويصرة وهو رجل من بني تميم فقال : يا رسول اللّه أعدل قال : ويلكْ ومن يعدل إذا لم أعدل، قد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل ، فقال عمر: يا رسول اللّه إئذن لي فيه فأضرب عنقه ، فقال : دعه فإن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم ،يقرؤون القرآن ،لا يجاوز تراقيهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية». **(رواه البخاري)**[2]

كان يطلق عليهم قبل خروجهم عن الجماعة "القراء" لكثرة تلاوتهم وتعبدهم، ثمّ سمّوا خوارج وحرورية، نسبة إلى بلدة بالعراق يقال لها حروراء[3]، ويسمون أنفسهم الشراة أي الّذين اشتروا الآخرة بالدنيا[4].

كما أُطلق عليهم اسم المُحكمة الأولى وهو الحزب الّذين أنكروا على علي كرّم اللّه وجهه قبوله بتحكيم الناس في خلافته وكانوا يقولون بأنه لاحاكم إلّا اللّه .[5]

لقد كانت الحركة الخارجية حركة إسلامية ثورية وضلت كذلك فترة طويلة وعندما بدأ رجالها حركة النضال الفكري والسياسي ضدّ المخالفين جذبوا إليهم كثيرا من

1- صلاح، طهبوب: موسوعة التاريخ الإسلامي (العصر الأموي)، د ط، دار أسامة للنشر، عمان، 2009، ص60.

2- يحي بن إبراهيم، اليحي: الخلافة الراشدة والدولة الأموية من فتح البارئ، ت أكرم ضياء، العمري، د ط، دار الهجرة للنشر، عمان، ص 234.

3- سفر بن عبد الرحمن، الحوالي: أصول الفرق والأديان والمذاهب الفكرية، ط2، المكتبة العربية للنشر، القاهرة ص36.

4- صلاح، طهبوب، المرجع السابق، ص60.

5- سالم السيد، عبد العزيز: تاريخ العرب منذ ظهور الإسلام حتى سقوط الدولة الأموية، د ط، مؤسسة شباب الجامعة، 2010، ص325.

المسلمين الجدد الموالي الّذين أعجبوا بشجاعتهم واستماتتهم في سبيل المبدأ من جهة وبدعوتهم إلى جعل الخلافة حقاً مُشاعاً بين كل المسلمين الّذين يستكملون شروطا معينة من جهة أخرى، وقد كان هذا رأي جميع طوائفهم.[1]

وممـا ساعد على تطور نظرياتهم رغبتهم في تقوية صفوفهم للقضاء على العصبية والتسلط على الخلافة هذا من جهة، إضافة إلى المناظرات العديدة الخصبة التي جرت بينهم وبين ابن عباس أول خلفاء الدولة العباسية وعلي وابن الزبير *وبعض عمال بني أمية على البصرة والكوفة وبعض خلفائهم من جهة ثانية، وتجتمع طوائفهم حول النظرة إلى الخلفاء الراشدين، فيعترفون بهم، غير أنهم يتبرؤون من عثمان بعد ست سنوات من خلافته وعلي بعد التحكيم[2]

وقد انقسم الخوارج على أنفسهم إلى عدة فرق نورد أهمها حسب الغلو والتشدد كالتالي:

المحكمة الأولى الذين عُرفوا فيما بعد باسم الأزارقة وهم أتباع نافع بن الأزرق الحنفي المكنّى بأبي راشد، ولم تكن للخوارج قط فرقة أكثر عددا ولا أشدّ منهم شوكة، والّذي جمعهم من الدين أشياء منها:

قولهم بأن مخالفيهم من هذه الأمة مشركون، وكان المحكمة يقولون أنهم كفرة لا مشركون[3]. ويقول نافع:«أنه لا يحل لأصحابه المؤمنين أن يجيبوا أحدا من غيرهم

1- موسى ، لقبال: المغرب الإسلامي، ط2، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، 1951، ص151.

(*) عبد اللّه بن الزبير: بن العوام أمه أسماء بنت أبي بكر الصديق، صحابي جليل روي عن الرسول 33 حديثا، شهد اليرموك كانت له فتوحات في إفريقية أيام معاوية قتل في الحرم المكي سنة 73هـ. مأخوذ من كتاب موجز التاريخ الإسلامي منذ عهد آدم عليه السلام (تاريخ ماقبل الإسلام) إلى عصرنا الحاضر لمحمود العسيري، ص،ص153_ 154.

2- موسى، لقبال، المرجع السابق، ص، ص151_ 152.

3- طاهر بن محمد، البغدادي: الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم (عقائد الفرق الإسلامية وآراء كبار أعلامهم) تحقيق محمد عثمان، الخشين، د ط، مكتبة ابن سينا القاهرة، دون سنة، ص، ص71_ 72.

إذا دعاهم للصّلاة، وهم في نظره كفار العرب وعبدة الأوثان»[1]، فقد قدّم هذا الأخير مبادئ حازمة في مذهبه. ويضيف سفر بن عبد الرّحمن الحوالي في كتابه أصول الفرق والأديان والمذاهب الفكرية، أن الأزارقة يكفرون حتى من كان على مذهبهم ولم يهاجر إليهم[2]، كما أوجبوا امتحان من قصد عسكرهم إذا ادعى أنه منهم أن يحملوا إليه أسيرا من مخالفيهم ويأمروه بقتله، فإن قتله صدّقوه في دعواه أنه منهم وإن لم يقتله قالوا هذا منافق ومشرك وقتلوه.

هذا إضافة إلى أنهم استباحوا قتل نساء وأطفال مخالفيهم وزعموا أن هؤلاء مخلدون في النار[3].

ويضيف البغدادي فيقول: « لم يقيموا الحد على قاذف الرجل المحصن، وأقاموه على قاذف المحصنات من النساء، وقطعوا يد السارق في القليل والكثير، ولم يعتبروا في السرقة نصابا »[4].

ثمّ تليهم في التشدد فرقة النجدات، وهم أتباع نجدة بن عامر بن عبد اللّه بن ساد بن المفرج الحنفي كان مع نافع بن الأزرق ففارقه لمبادىء في مذهبه[5] ما سبق ذكره. فمن تعاليمهم التي انفرد بها أن المخطأ بعد أن يجتهد معذور، وأن الدين أمران معرفة اللّه ومعرفة رسوله، وتحريم دماء المسلمين، وتحريم غصب أموالهم، والإقرار بما جاء من عند اللّه جملة. وما عدا ذلك فالناس معذورون بجهلهم إلى أن تقوم عليهم الحجّة، وعظم الكذب على الزنا وأسقط حدّ شرب الخمر، وأجاز التقية (*)، وقد

1- حسن إبراهيم، حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ج1، ط4، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1996م، ص318.

2- سفر بن عبد الرحمن، الحوالي، المرجع السابق، ص30.

3- البغدادي، المصدر السابق، ص79.

4- نفسه، ص، ص79، 80.

5- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، مج4، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 1987م، ص20.

(*) التقية هي اتقاء أذى الخصم بأن يكتم عنه اعتقاده عن غيره. من كتاب تاريخ المغرب الإسلامي لسالم السيد.

أورد المؤرخ حسن بن إبراهيم حسن في كتابه آيات قرآنية احتج بها نجدة الحنفي في هذا الأمر كقوله تعالى:« إلا أن تتقوا منهم تقاة» الآية 28_ سورة آل عمران وقوله تعالى:« وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه»،الآية 28_ سورة غافر، ومن جملة ما جاء في مبادئهم أيضا أن القعود عن القتال جائز والجهاد إذا أمكن كان أفضل[1]، ويضيف البغدادي أن فرقة النجدات استحلت دماء أهل الذمّة وأموالهم ، وأجازوا عدم إقامة إمام، وإنما على الناس أن ينصف بعضهم بعضاً.

ويعتبر العلماء أكثر الفرق اعتدالا فرقتي الإباضية وتليها الصفرية، أما الصفرية فهم أتباع زياد بن الأصفر الّذين انقسموا عن الأزارقة، حيث يرجح البغدادي أن السبب في ذلك هو« قول الأزارقة في أن أصحاب الذنوب مشركون، غير أن الصفرية لا يرون قتل أطفال مخالفيهم ونسائهم والأزارقة يرون ذلك» [2].

أما عبد اللّه بن أباض فقد ظهر سنة خمسة وثمانون هجرية كقائد ومؤسس لفرقة الإباضية وكان من تلاميذ زعماء المحكمة الأولى من الخوارج، وكان ممن انضم من الخوارج إلى عبد اللّه بن الزبير في ثورته ضدّ الأمويين.

وما يلفت الانتباه أنه وقعت مراسلات بينه وبين الخليفة عبد الملك بن مروان، ومن رسالته إلى هذا الخليفة يستفاد مدى فهمه الخاص وفهم بقية الخوارج لكتاب اللّه تعالى ومعرفة سيرة النبي صلى اللّه عليه وسلم، وسيرة الخلفاء الراشدين الثلاثة من بعده أبي بكر وعمر وعثمان، لكن الأهم من ذلك هو تحامله الشديد كسابقيه من الخوارج على هذا الأخير[3].

ومن حسن الحض كما يقول الكثير من المؤرخين أن بلاد المغرب لم تعرف من فرق الخوارج إلّا المسالمين منها وهما فرقتي الإباضية والصفرية، ومن الأسباب التي

1- حسن إبراهيم، حسن، المرجع السابق، ص 318.

2- البغدادي، المصدر السابق، ص 84.

3- محمد، أبو سعدة: الخوارج في ميزان الفكر الإسلامي، ط2، كلية الآداب بجامعة حلوان، القاهرة، 1998، ص 65.

مهدت الطريق لدخول هاتين الفرقتين وانتقالهما إلى بلاد المغرب ما يلي :

يظهر أن الإضطهادات العنيفة التي وجهت ضد خوارج المشرق، والانتصارات العظيمة التي أحرزها عليهم قادة بني أمية العظام مثل الحجاج بن يوسف(*) والمهلب بن أبي صفرة(*) دفعت كثيرا منهم إلى التنقل بين الأمصار الإسلامية، والهجرة إلى حيث لا تنالهم أيدي البطش والطغيان، أي في البيئات التي مازال مسلموها ينعمون بحياتهم الّدينية في إطار البساطة المذهبية والاتجاهات غير المجزئة ، وقد وجد مهاجري الخوارج في بيئة المغرب نموذجا لهذه البيئات وتربة خصبة لزرع آرائهم وبثّ دعوتهم وتقوية صفوفهم[1]، ويمكن أن تكون الصّفات التي اتصف بها الخوارج من أسباب تلقي هذا المذهب لدى المغاربة.

فقد ذكر الإمام محمد أبو زهرة بعض صفاتهم فقال :« اتصفوا بالفصاحة وطلاقة اللسان والعلم بطرق التأثير البياني وكانوا ثابتي الجنان لا يتحيزون أمام خصومهم ولا تأخذهم حبسة فكرية »[2].

ومما ساعد على انتشار دعوة الخوارج على هذا النطاق الواسع أنّ دعاتها من إباضية وصفرية عندما نشروا دعوتهم ببلاد المغرب نشروها تحت شعار المنادات باسم الإصلاح والعمل بالكتاب والّسنة.

وكان الرباط على الثغور والسواحل المغربية بقصد العبادة والحراسة والثقافة من أهم ما أعان الخوارج على نشر مذهبهم[3]، ويقف على رأس العوامل المهمة في نشر

(*) الحجاج بن يوسف: كان من أعظم رجال عبد الملك، عرف بالسياسة والدهاء والبطش والقسوة كان من القادة الذين قاتلوا مصعب بن الزبير، أخضع الحجاز وامتد نفوذه حتى شمل الشرق كله، توفي عام 86هـ.مأخوذ من كتاب محمود العسيري، المرجع السابق.

(*) هو المهلب بن أبي صفرة ظالم بن سارق الأزدي وكنيته أبو سعيد، يعتبر من أشراف أهل البصرة وأذكاهم وأكرمهم، كان ينزل فيما بين البحرين وعمان وضل يحارب الخوارج حتى قضى عليهم في المشرق.

1- موسى لقبال: المرجع السابق، ص153.

2- محمد، أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية، د ط، دون سنة، ص 32.

3- المرجع السابق، ص153.

الحركة الخارجية في بلاد المغرب مظاهر عصر الولاة، فقد نجم عن سياسة الأمويين الأواخر موجة من السخط عمت كافة الولايات الإسلامية، فتفطّن الخوارج والعلويين إلى هذه الظروف فاتجهوا إلى بلاد المغرب التي كانت مسرحا سياسيا للخصومات القبلية بين القيسية واليمنية، وكان هذا العنصر هو الغالب ببلاد المغرب بعد الفتح فهم الّذين آزروا موسى بن نصير خلال ولايته، فلما عزل هذا الأخير استبدله الخليفة سليمان بن عبد الملك بمحمد بن يزيد الذي كان قيسيا « لهذا كان همه الوحيد تصفية نفوذ أهل موسى فأخذ يتتبعهم ويبطش بهم ويستولي على أموالهم» [1]، على حد قول إسماعيل عبد الرازق.

وفي سنة تسعة وتسعين هجرية توفي سليمان بن عبد الملك وأستخلف عمر بن عبد العزيز يوم وفاته فاستعمل على إفريقية إسماعيل بن عبد اللّه بن أبي المهاجر، «فكان خير أمير وخير وال»[2]، وهو الّذي علّم أهل إفريقية الحلال والحرام وما ميز عصره البعثة العلمية التي أرسلها عمر بن عبد العزيز بعشرة من التابعين لتعليم أهل هذه البلاد أصول الإسلام، وفي سنة مائة وواحد هجرية توفي عمر بن عبد العزيز بعد أن تولى سنتين وخمسة أشهر وولي الخلافة بعده يزيد بن عبد الملك فولى على إفريقية يزيد بن أبي مسلم مولى الحجاج بن يوسف الثقفي سنة مائة وستة هجرية، ومما أورده ابن عذارى عن سيرته« أنه كان ظلوما غشوما »[3]، هذا إضافة إلى اتخاذه حرساً على عادة ولاة الروم، فنقم عليه البربر هذه السياسة وقتلوه[4].

1- محمود إسماعيل، عبد الرازق: الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري، ط2، دار الثقافة، المغرب، 1985، ص، ص31_ 32.

2- ابن عذارى، المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج1، ط2، تحقيق خ.س كولان وليفي، بروفنسال دار الثقافة، بيروت، 1983، ص48.

3- نفسه، ص48.

4- عبد اللّه، العروي: مجمل تاريخ المغرب، ط5، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1996، ص144.

ويمكن أن نقول أن هذا الحادث لم يكن بداية للثورة وإنما كان فقط مؤشرا على الأزمة القادمة.

ولمّا عاد أوس الأنصاري من غزوه في صقلية قلّدوه أمر إفريقية فكتب إلى يزيد بن عبد الملك يخبره بما آلت إليه الأوضاع، فولى بشر بن صفوان سنة مائة وثلاثة هجرية وقد تولى هذا الأخير إفريقية مرتين، بعده عين عبيد اللّه بن الحبحاب بواسطة الخليفة هشام بن عبد الملك كان هذا الوالي من عشيرة قيس مثل يزيد الذّي ذكرناه سابقا، ويبدو أنه كان مثله مستعدا لفرض ضرائب لا حدّ لها وقد فعل الأعوان الذّين اختارهم عبيد اللّه في البربر أكثر من ذلك[1].

فعامله على طنجة عمر بن عبد اللّه المرادي « أساء السيرة وتعدى في الصدقات والعشر، وأراد تخميس البربر وزعم أنهم فيء[*] للمسلمين، وذلك ما لم يرتكبه عامل قبله»[2] ، فيمكن أن نعتبر ما فعله هذا الأخير كان سببا في وقوع فتن عظيمة.

فلما علم البربر خروج حبيب بن أبي عبيدة إلى بلاد الروم نقضوا الطاعة لابن عبيد اللّه بن الحبحاب بطنجة وأقاليمها، [...] وثاروا بالمغرب الأقصى، وكانت أول ثورة فيه وفي إفريقية بعد تمام الفتح[3].

وفي مقابل ذلك كانت حركة الخوارج تطرق أبواب بلاد المغرب الإسلامي، فقد استهوى البربر الحكم الشوري الّذي نادَتْ به هذه الحركة، وفي هذا الصدد يقول جورج مارسيه:« فالنزعة المنبثقة عنها كانت تلبية لآمال الشعوب المفتوحة التي أحبطها المسلمون، فالسُّلطة العليا توّكل للأكثر تقوى وصلاحاً وعلماً من أي جنس حتى ولو

1- جورج، مارسيه: بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى، تر محمود عبد الصمد، هيكل، مراجعة مصطفى، أبو ضيف أحمد، د ط، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1999، ص51.

(*) الفيء: هو ماغنمه المسلمين من ديار غيرهم دون قتال. مأخوذة من كتاب الأحكام السلطانية للماوردي.

2- ابن عذارى، المصدر السابق، ص52.

3- نفسه.

كان عبداً زنجياً، وأي تفوق في الأجناس لا يعطي للعرب حق حكم المسلمين»[1]. فهذا المذهب المشرقي النابت من الإسلام قدّم إسلاما صارما في عدالته، فقد رحب به البربر وكان محققا لمطالب الكادحين في شمال إفريقيا، فانضمت إليه هذه الطبقة بحماسها وعدائها الطبيعي، فانتشر هذا المذهب عبر بلاد البربر بأكملها كرمز لتحرره، وأصبح الطابع الخاص بالإسلام في بلاد المغرب[2].

1- جورج، مارسيه، المرجع السابق، ص54.

2- نفسه.

الفصل الأول

تـــــأسيـــــس

الدولة المدرارية

المبحث الأول: مرحلة الدعوة

بما أنّنا في صدد الحديث عن الدولة المدرارية، وجب علينا التطرق إلى مذهب هذه الدولة بشكل موجز، خاصة وأنه كان السبب الرئيسي في قيامها، فقد تبنّت هذه الدولة المذهب الصفري كمذهب مميز لها.

أولا: تعريف المذهب الصفري:

هو مذهب من المذاهب الخارجية المنتشرة ببلاد المغرب الإسلامي، ويرجع أصل تسمية الصفرية إلى مؤسسها زياد بن الأصفر(*)[1]، وهذا القول اتفق عليه جلّ المؤرخين، في حين يذهب البعض الآخر إلى أنّ أصل التسمية يرجع إلى عبد اللّه بن صفار(*)[2]، كما أنّ هناك رواية ترجع أصل تسميتهم بالصفرية لصفرة وجوههم من كثرة العبادة أو لأنّهم خرجوا من الدين صفرا أو أنّ نسبهم يتصل بالمهلب بن أبي صفرة(*)[3].

فلا يمكن أن نسلّم تسليما جازما بصحة هذه الرواية، ذلك أنّ صاحبها يقول أن كثرة العبادة من صفات الخوارج عموما وليست حكرا على الصفرية فقط، إضافة إلى قوله أن المهلب بن أبي صفرة هو من أكثر الأشخاص عداءا للخوارج.

(*) زياد بن الأصفر: أصله من البصرة كان ضمن جيش نافع بن لأزرق ثمّ انفصل عنه بمذهب الصفرية. من موسوعة ويكيبيديا الحرة .

1- أبي الحسن، الأشعري: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تصحيح هلموت، ريتر، ط3، فرانز شتايز، بفيسبادن، 1980م، ص102. وانظر أيضاً الشهرستاني الملل والنحل، ص102 والبغدادي الفرق بين الفرق،ص84،ومصطفى، الشكعة: إسلام بلا مذاهب، ص134.

(*) عبد اللّه بن صفار: مشرقي الأصل ذكرته العديد من المصادر على أنه مؤسس لمذهب الصفرية.من نفس الموسوعة.

2- يوليوس، فيلهوزن: أحزاب المعارضة السياسية والدينية في صدر الإسلام(الخوارج والشيعة)، تر عبد الرحمن ، بدوي، د ط، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1958، ص72. وانظر أيضاً محمود إسماعيل عبد الرازق ، المرجع السابق،ص45.

(*) المهلب بن أبي صفرة: ضالم بن سارق الأزدي وكنيته أبو سعيد، يعتبر من أشراف أهل البصرة وأذكاهم وأكرمهم، كان ينزل فيما بين البحرين وعمان وضل يحارب الخوارج حتى قضى عليهم في المشرق. من نفس الموسوعة.

3 _ نفسه، ص45.

ثانيا: أسس ومبادئ المذهب الصفري:

رغم الاختلاف الّذي جرى بين المؤرخين في أصل التسمية والنسب إلا أنّهم يتفقون في مبادئ وأسس الصّفرية ومنهم من يزيد عن غيره، فمن جملة هذه المبادئ ما يلي:

تعتبر فرقة الصفرية من أقل الفرق تشددا وغلوا وأميل إلى المسالمة من الأزارقة، كما كانوا أقرب إلى الاعتدال وأبعد عن التطرف في أحكامهم، فلم يكفروا القاعدين عن القتال ولم يسقطوا الرجم ولم يحكموا بقتل أطفال المشركين وتكفيرهم وتخليدهم في النار[1]، وقد زعمت فرقة من الصفرية أنّ ما كان من الأعمال عليه حدّ واقع لا يسمى صاحبه إلاّ باسم الموضوع مثلا: كالزاني والسارق والقاذف والقاتل وليس صاحبه كافرا ولا مشركا، وكلّ ذنب ليس فيه حدّ كترك الصلاة والصوم فهو كفر وصاحبه كافر، وإنّ المؤمن المذنب يفقد اسم الإيمان في الوجهين جميعا[2].

ويقول الصفرية بأن التقية جائزة في القول دون العمل، كما أنّ هناك من أجاز تزويج المسلمات من كفار قومهم في دار التقيّة دون دار العلانية[3]. فقد سمح لهم ذلك بمعايشة الجماعة الإسلامية بدلا من العداء والتناحر كما أتاح لهم نشر دعوتهم بنوع من السرية والتحفظ[4]. ويروى عن زياد بن الأصفر أنه قال: «نحن مؤمنون عن أنفسنا ولا ندري لعلنا خرجنا من الإيمان عند اللّه»، وقال: «الشرك

1- مصطفى، الشكعة: إسلام بلا مذاهب، ط6، الدار المصرية اللبنانية، دون سنة، ص134.

2- محمد إبراهيم، الفيومي: تاريخ الفرق الإسلامية السياسي والديني(الخوارج والمرجئة)، ك1، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة، 2003، ص183.

3- عبد المنعم، الحنفي: موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية، ط1، دار الرشاد، 1993، ص278.

4- محمود إسماعيل، عبد الرازق، المرجع السابق، ص46.

شركان شرك هو طاعة الشيطان وشرك هو عبادة الأوثان، والكفر كفران، كفر بإنكار النعمة وكفر بإنكار الربوبية، والبراءة براءتان، براءة من أهل الحدود سنّة وبراءة من أهل الجحود وهي فريضة»[1]، وكلّ الصفرية يقولون بموالاة عبد اللّه بن وهب الراسبي[*]وحرقوس بن زهير[*]، وبإمامة أبي بلال مرداس[*]وعمران بن حطان[*] من بعده[2].

ثالثا: ثورات الخوارج:

لثورات الخوارج أساس نضري وهو العمل بكتاب الله وسنة النبي صلى الله عليه وسلم، وهم يمثلون النزعة البدوية التي تكره الخضوع لأي سلطة، ولم تقم لهم قائمة في المشرق منذ سقوط الأمويين، وهذه الظاهرة تجلب الانتباه، فلعل الضربات الشديدة التي أصابتهم من مروان الثاني ومن أبي مسلم في خراسان أضعفتهم فلم يستجمعوا قواهم حتى هذا الوقت[3].

وفيما يلي سنستعرض أهم ثورات الخوارج الصفرية في العهد الأموي ومن بعده في العهد العباسي:

1- محمود إسماعيل، المرجع السابق، ص46.

(*) عبد اللّه بن وهب الراسبي: الأزدي العماني لما كان من أمر الحكمين ما كان قدمه قومه على رئاستهم وبقي يحكم بالعدل حتى توفي. مأخوذة من كتاب طبقات المشايخ للدرجيني، ج1، ص،ص1_4.

(*) حرقوس بن زهير: السعدي كان من أهل النسك والعبادة وكان ذا نجدة وبأس، له الفضل في فتح الأهواز أيام عمر كما أنه ممن شهد صفين وأبى تحكيم الحكمين، قيل مات مقتولاً. مأخوذة من نفس المصدر.

(*) أبي بلال مرداس: هو مرداس بن حديد ويكنى بأبي بلال، شهد معركة صفين مع الإمام علي هو وأخوه عروة، كان من بين القليل الذين نجو من القتل في معركة النهروان. مأخوذة من نفس المصدر. ص3.

(*) عمران بن حطان: أبو سماك رأس القعدة من الصفرية ونضيرهم وشاعرهم، كان قبل ذلك من رجال العلم والحديث، وإنما عدَّ من قعدة الصفرية لأنه طال عمره وضعف عن الحرب، فاقتصر على التحريض والدعوة بشعره وبيانه.نفس المصدر، ص6.

2- محمد إبراهيم الفيومي، المرجع السابق، ص 183.

3- عبد العزيز، الدوري: العصر العباسي الأول (دراسة في التاريخ السياسي والإداري والمالي) ط1، دار الطليعة للنشر، بيروت، 1945، ص112.

أ- في العهد الأموي :

إن سياسة ولاة بني أمية في المغرب الّتي تميزت بالتعسف والتمييز، والتعصب للعرب على غيرهم من الشعوب، اعتبرها جلّ المؤرخين كأسباب مباشرة لاندلاع ثورات الخوارج ومن ذلك الخوارج الصفرية، فأوّل ثورة كانت في عهد عبيد اللّه بن الحبحاب المعين من طرف الخليفة هشام بن عبد الملك على إفريقية الّذي عامل البربر معاملة قاسية مما سبب اندلاع ثورة ميسرة المطغري(*)[1]، ولا يمكن استبعاد دور هذا الأخير في نشر المذهب الصفري بين قبيلة مطغرة، ويبدو أنّ دعاة المذهب في المغرب أجمعوا على زعامته بعد موت عكرمة مولى بن عباس(*).

فتخطى الخوارج الصفرية مرحلة الدعوة إلى مرحلة الظهور وإعلان معتنقيه وإرسال بعوثهم إلى البصرة للإعداد لمرحلة الثورة، فقد تمكن ميسرة من كسب مساندة القبائل الصفرية له بما في ذلك قبيلة مكناسة وبرغواطة إضافة إلى مساندة الأفارقة. وبفضل تلك المساندة اكتسب دعم سياسي وديني مكنه من توحيد كافة القبائل الصفرية في ربوع المغرب الأقصى تحت زعامته[2]، إلاّ أنّ الوالي الأموي عبيد اللّه بن الحبحاب لم يعجبه توحيد البربر فسرّح إليهم جيشه بقيادة خالد بن أبي

(*) ميسرة المطغري: شخصية مغربية من قبيلة مطغرة، ترأس الوفد الذي ذهب إلى المشرق لملاقات الخليفة الاموي سليمان بن عبد الملك وهو الذي أعلن الثورة بعد عودته إلى المغرب، برزت دعوته سنة122هـ في طنجة، ثم بويع خليفة على المغاربة إلى أن قتل.مأخوذة من كتاب البربر لمؤلف مجهول، ص103.

1- حسن أحمد، محمود وأحمد إبراهيم، الشريف: العالم الإسلامي في العصر العباسي، د ط، دار الفكر العربي، القاهرة، 1916م، ص315.

(*) هو عكرمة أبو عبد اللّه المفسر، مولى بن عباس وعنه أخذ الحديث، مات سنة 106هـ وقيل 107هـ. النويري نهاية الأرب، ص212.

2- محمود إسماعيل، عبد الرازق، المرجع السابق، ص63.

حبيب، فالتقوا بواد شلف، وانهزم العرب وقتل خالد بن أبي حبيب في الوقعة الّتي سميت بوقعة الأسراب[1]، وقيل الأشراف لكثرة من قتل فيها من قادة العرب.[2]

فكانت الثورة الثانية في عهد كلثوم بن عياض الّذي ولاه هشام بن عبد الملك في جمادى الآخرة 123هـ لمّا بلغته أخبار الخوارج في إفريقية فأرسله إليها في جيش قوامه إثنا عشر ألفا وخرج معه أهل مصر وأهل برقة وطرابلس، فزحف إلى الشمال الإفريقي متوغلاً سنة 132هـ، أين التقى ميسرة من رؤوس الخوارج الصفرية في جموع من البربر، بالقرب من طنجة واستماتوا في قتاله حتى قتلوه وهزموا جيشه، فاتبعت الخوارج من انكسر من العرب فثبت لهم بلج القيشري[*] ابن عم كلثوم الّذي انتصر عليهم.[3]

إلاّ أنّ الوضع ما لبث أن بدأ يتغير خاصة بعدما استُخلف خالد بن حميد الزناتي مكان ميسرة، حيث زحف خالد ومن معه من البربر ولقوا كلثوم من بعد أن هزموا جيشه ، فاشتد القتال بينهم، وقتلوا كلثوم، و بلغ الأمر هشام بن عبد الملك، فأرسل حنظلة بن صفوان الذي قدم القيروان سنة 124هـ[4].

وفي هذه الأثناء كان عكاشة بن أيوب[*] وعبد الواحد بن يزيد[*] من برابرة

1- عبد الرحمن، ابن خلدون: ديوان العبر، تحقيق خليل، شحادة، مراجعة سهيل، زكار، ج6، د ط، دار الفكر للطباعة والنشر، لبنان، 2000م، ص145،

2- عصام الدين، عبد الرؤوف الفقي: تاريخ المغرب والأندلس، د ط، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، دون سنة، ص55.

(*) هو بلج بن بشر القيشري، أحد من تولى إمارة الأندلس فيما يعرف فيها بعصر الولاة، برز اسمه منذ قدم المغرب مع عمه كلثوم بن عياض، وهو فارس دمشقي شجاع.

3- علي محمد محمد، الصلابي: صفحات من التاريخ الإسلامي في الشمال الإفريقي (عصر الدولتين الأموية والعباسية وظهور فكر الخوارج)، ط1، دار البيارق، الأردن، 1998م، ص، ص 62، 63.

4- عبد الرحمن، ابن خلدون، المصدر السابق، ص145.

(*) عكاشة ابن أيوب: ظهر بمدينة قابس، وهو على رأي الخوارج الصفرية ، تواجه مع العرب المسلمين في القيروان، وبعد انهزامه لحق ببلاد الرمل

(*) عبد الواحد ابن يزيد: لم ترد الكثير من المعلومات على هذا الشخص سوى أنّه من زعماء الصفرية بالمغرب.

هوارة ومن المتمذهبين بمذهب الخوارج الصفرية يترقبون وصوله[1]، فالتقى الجيشان بظاهر القيروان وبعد قتال شديد قتل عبد الواحد الهواري وأُخذ عكاشة أسيرا، فأبلغ حنضلة هشام بهذا الانتصار وسمعها الليث بن سعد فقال:« نقلا عن كتاب ابن خلدون ما غزوة كُنت أُحبّ أن أَشهد ما بعد غزوة بدر أحبُّ إليَّ من غزوة القرن والأصنام».[2]

ب- في العهد العباسي:

بعد أن قضى عبد الرحمن بن حبيب[*]على إمامة الإباضية بطرابلس بقتل مؤسسها الحارث بن تليد وعبد الجبار بن قيس الهواري وخليفتهما إسماعيل بن زياد النفوسي، استعمل على طرابلس عمر بن سويد المرادي، لكن هذا لا يعني القضاء على الحركة نفسها في ولاية طرابلس، فقد كانت تعاليمها ترسخت في النفوس فبايع الإباضيون عبد الأعلى بن السمح المعافري[*] إماما عليهم سنة 140هـ من خليج سرت إلى قابس[3].

أمّا إفريقية فقد خضعت لورفجومة بعد أن استولى زعيمهم عاصم بن جميل[*] على القيروان فقد سامت أهلها الظلم والعسف وأصرفوا في ارتكاب المعاصي والفضائح وأعمال المنكر من سفك الدماء وهتك الحرمات، ففرّ كثيرٌ من أهل القيروان لائذين بالفرار في حمى أبي الخطاب فطالعوه بما ارتكبه الورفجميون[4].

1- نفسه، ص،ص 62، 63.

2- علي محمد محمد، الصلابي:المرجع السابق، ص،ص 62، 63.

(*) عبد الرحمن بن حبيب: جده عقبة بن نافع وأبوه حبيب كان من القادة العسكريين في إفريقية، انضم عبد الرحمن إلى حملة كلثوم لإخضاع ثورة البربر، ضلّ والياً على إفريقية إلى أن قتله أخويه عام137هـ.

(*) عبد الأعلى بن السمح المعافري: هو أحد حملة العلم الخمسة الذين أخذوا في البصرة أصول الخارجية الإباضية على أبي عبيدة مسلم بن أبي كُريمة، كان أول إمام للإباضية بالمغرب، قتل سنة144هـ في مواجهة مع ابن الأشعث.

3- سالم السيد، عبد العزيز: تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، د ط، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2010م، ص203.

(*) عاصم بن جميل: من أمازيغ البربر ومن الخوارج الصفرية كان من حملة العلم الخمسة إلى المغرب، احتل القيروان بجيشه عام 138هـ، ثمّ سار لقتال حبيب بن عبد الرحمن في قابس فانتصر عليه عبد الرحمن وقتله.

4- نفسه، ص206.

فامتعض لذلك وقام محتسبا عليهم وشايعه على ذلك برابرة طرابلس وتولى كبر ذلك هوارة، فاجتمعوا إليه وتقدم بهم إلى طرابلس فملكها ثمّ زحف إلى القيروان سنة 141هـ، فخرج إليه عبد الملك بن أبي الجعد في جموعه فانهزم وقتل واستولى أبا الخطاب على القيروان.[1]

أمّا في تلمسان فقد أعلن أبي قرة نفسه إماما للخوارج الصفرية وبذلك ظهرت دولتان للخوارج في الشمال الإفريقي.

ونتيجة لذلك الصراع بين الخوارج أنفسهم كان على الخليفة المنصور أن يواجههم في بلاد المغرب، لذلك جهّز حملة عسكرية بقيادة محمد ابن الأشعث[*] الخزاعي وعينه واليا على مصر على أن يكون واجبه إلحاق الهزيمة بالخوارج[2]، ففي هذه الأثناء ثار الخوارج أيضاً في المغرب الأدنى وما حولها من صفرية وإباضية فأرسل إليهم المنصور عمر ابن حفص [...] أخى المهلب، فدامت المعارك بينهم طويلا وانظم كثيرا من البربر إلى الخوارج وكان على رأسهم أبو حاتم الإباضي الذي تمكن من قتل عمر بن حفص واستولى مع الخوارج على القيروان ، فأرسل المنصور يزيد ابن حاتم فتغلب على الخوارج وقُتل أبو حاتم ومن معه من الخوارج والبربر، فكانت مسيرته العسكرية في سبيل إخماد هذه الثورة نحو خمسة عشر سنة، وقيل تكررت المواجهات بينه وبينهم نحو من ثلاث مائة وخمس وسبعين وقعة.[3]

المبحث الثاني: مرحلة التمكين والاستقرار

1- أحمد بن خالد الناصري، السلاوي: الاستقصاء لأخبار دول المغرب الإقصاء، ج1، د ط، تحقيق جعفر، الناصري ومحمد، الناصري، دار الكتاب، المغرب، 1954م، ص55.

(*) محمد ابن الأشعث: بن قيس الكندي ولاه زياد بن أبيه على طبرستان وهو أحد قيادات جيش مصعب بن الزبير في حربه على المختار الثقفي، قتل في معركة حروراء أطراف الكوفة.

2- عبد الجبار، ناجي وآخرون: الدولة العربة الإسلامية في العصر العباسي، د ط، مركز الإسكندرية للكتاب، القاهرة، 2006م، ص، ص64_ 65.

3- أحمد، أمين: ضحى الإسلام، ج3، ط7، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1973، ص، 338_ 339.

أولا: موقع مدينة سجلماسة:

تقع مدينة سجلماسة في شمال وادي درعة على طرف الصحراء جنوباً في آخر بلاد العمران، وتليها المغارة الكبرى الّتي تؤدي إلى غانة[1].

وهناك من يقول:« أن هذه المدينة تقع شرقي درعة، وهي قاعدة ولاية مشهورة ولها نهر باتي من الجنوب والشرق، وينقسم فيمرُّ على شرقي سجلماسة وغربيها ...، ولسجلماسة ثمانية أبواب ومن أيها خرجت ترى النهر والنخيل وغير ذلك من الشجر، وعلى جميع بساتينها ونخيلها حائط يمنع غارة العرب أربعون ميلاً وهي مدينة تلي الصحراء الفاصلة بين بلاد المغرب وبلاد السودان».[2]

ويقول آخر:« سجلماسة في صحراء المغرب بينها وبين البحر خمس عشرة مرحلة وهي على نهر يقال له زير وليس بها عين ولا بئر وزرعهم الدخن والذرة ولهم النخل الكثير» ويقول أيضاً: «وسجلماسة من أعظم مدن المغرب وهي على طرف الصحراء لا يعرف في قبليها ولا في غربيها عمران، وبينها وبين غانا في الصحراء مسيرة شهرين في رمال وجبال غير عامرة، قليلة الماء يسكنها قوم من مسوفة رحالون لا يستقر بهم مكان».[3]

ويقول الحموي: «سجلماسة مدينة في جنوبي المغرب في طرف بلاد السودان، بينها وبين فاس عشرة أيام تلقاء الجنوب، وهي في مقتطع جبل درن، وهي في وسط رمال كرمال ويتصل بها من شماليها جدد من الأرض ، يمر بها نهر كبير».[4]

1- عبد الحميد سعد، زغلول: تاريخ المغرب العربي (تاريخ دول الأغالبة والرستميين وبني مدرار والأدارسة حتى قيام الفاطميين)، ج2، د ط، منشأة المعارف للنشر،الإسكندرية، بدن سنة ص409.

2- عماد الدين إسماعيل المعروف بأبي الفداء: تقويم البلدان، تحقيق رينود وماك كوكين، ديسلان، د ط، دار الطباعة السلطانية، باريس، 1850م، ص137.

3- محمد عبد المنعم، الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار(معجم جغرافي مع فهارس شاملة)، تحقيق د. إحسان، عباس، ط1، مكتبة لبنان، بيروت، 1975م، ص305.

4- شهاب الدين أبي عبد اللّه، الحموي: معجم البلدان، مج3، دار صادر، بيروت، دون سنة، ص192.

اختلف المؤرخون في وقت إنشاء أو وجود هذه المدينة، فهناك من يذكر بأنها أُنشأت على عهد موسى بن نُصير، فعندما غزا هذا الأخير المناطق الواقعة جنوب المغرب، قام بإنشاء سجلماسة وهي عبارة عن واحة كبيرة تضم أو تتكون منها مجموعة واحات.[1] والراجح أن مدينة سجلماسة هي مدينة حديثة البناء، وبُنّاؤها كانوا من الصفرية من قبيلة مكناسة[2]، فلو كانت هذه المدينة موجودة قبل ذلك التاريخ لمّا ذكرت المصادر أن عيسى بن يزيد اضطر إلى تخطيطها وبنائها مجددا، بل لأتم ترميمها وتجديد بنائها.

- وإذا نظرنا إلى ما ذكره أحد المؤرخين ماذا أقصد بسجلماسة؟

هي عبارة عن عدد من القرى، استمر وجودها الى وقت ظهور الشرفاء العلويين بالصحراء.

ولاشك أنَّ الأوصاف التي أشار القدماء إليها عن نشأة مدينة سجلماسة ربما تكون عبارة عن مجموعة قصور في منطقة معينة[3].

ثانيا: تأسيس الدولة:

يمكن أن نرجع نواة تأسيس الدولة المدرارية إلى أبي القاسم سمغون ابن واسول المكناسي، فيروى عن هذا الأخير أنه كان صاحب ماشية كثيرة ينتجع موضع سجلماسة ويتردد إليه، على أنه براحا في الأسواق، فاجتمع قوم من الصفرية عليه وسكنوا معه هنالك في خيمات[4]، فهذه الحركة التي قام بها أبا القاسم سمغون يمكن أن تكون مرحلة لجسّ النبض وتكوين الأنصار، فلمّا اجتمع على المذهب حوالي أربعين رجلاً من الصفرية أعلنوا استقلالهم عن الخلافة العباسية و ولّوا عليهم عيسى بن يزيد الأسود من

1- حسين، مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة الأسرة الفنية، طبعة جديدة، 2003، ص61.

2- عبد الحميد سعد، زغلول، المرجع السابق، ص 409.

3- المرجع السابق، ص61.

4- ابن عذارى، المراكشي، المصدر السابق، ص168.

موالي العرب ورؤوس الخوارج، الذي أقام كياناً سياسياً بسجلماسة بعد اختطاطها سنة 140هـ.[1]

وما يفهم من صيغ الحديث أنّ أبا القاسم قد تنازل ليزيد بن الأسود عن الحُكم، فيمكن أن يكون هذا تحقيقا لمبدأ المساواة الذي نادت به هذه الحركة، كما يمكن أن يكون لغلبة عنصر السودان على المدينة في تلك الفترة.

لكن بعد فترة نقم الصفرية على حاكم دولتهم وخلعوه.[2] وذلك عندما رأوا أنه خرج عن جادة الصواب.[3]

تزعّم هذه الحركة رجل يدعى أبو الخطاب الصفري تمكّن وأصحابه من القبض على عيسى بن يزيد وشدوا وثاقه إلى جذع شجرة في الجبل بعد أن طلَوْهُ بالعسل وتركوه حتى قتله البعوض والنمل والنحل متهمينه بسرقة أموال الدولة المدرارية، فمات هذا الأخير أبشع موت بعد أن نكلوا به.

تولى بعده أبي القاسم بن واسول وتلقب بالمدرار فعرفت الدولة فيما بعد باسم الدولة المدرارية أو دولة بني واسول، فقد استمر حكم هذه الدولة في يد أبنائه من بعده.[4]

ثالثا: حكام الدولة المدرارية وجهودهم للحفاض على كيان الدولة:

يعتبر عيسى ابن يزيد الأسود أول حاكم لدولة بني مدرار الصفرية فقد دام حكمه

1- عبد الرحمن، ابن خلدون، المصدر السابق، ص172.

2- عبد اللّه محمد، جمال الدين: الدولة الفاطمية (قيامها ببلاد المغرب وانتقالها إلى مصر إلى نهاية القرن الرابع هجري)، د.ط، دار الثقافة، القاهرة، 1991م، ص33.

3- محمد حسن، العيدروس: المغرب العربي في العصر الإسلامي، ط1، دار الكتاب الحديث، القاهرة، 2002م، ص66.

4- إبراهيم، أيوب: التاريخ العباسي السياسي والحضاري، ط1، الشركة العلمية للكتاب، لبنان،1989م، ص، ص163_ 164.

خمسة عشر عاماً حقق فيها عدة إنجازات، فقد أكمل بناء سجلماسة «وشيّد أسوارها، وقسّم مياهها في الخلجان بقدر موزون، ثمّ وجّه المياه إلى كل ناحية بالتساوي، وأمر بزراعة النخيل والاستكثار منه»[1]،توفي هذا الأخير مقتولاً بعد أن ثار عليه قومه فأوثقوه على جذع شجرة في الجبل وطلوه بالعسل وتركوه حتى قتله البعوض والنحل والنمل متهمينه بسرقة أموال الدولة المدرارية،[2] فقد كانت طريقة قتله مروعة تناسى خلالها قومه ما قام به هذا الأخير من أعمال في سبيل تأسيس هذه الدولة.

تولّى بعده أبي القاسم سمكو بن واسول بن مصلان بن أبي نزول، كان والده من رجالات العلم الذين ارتحلوا إلى المدينة وأخذوا العلم عن عكرمة مولى بن عباس، مات أبي القاسم فجأة سنة 167هـ بعد أن قضى في ولايته اثنا عشر سنة، دعا فيها للخليفة المنصور والمهدي العباسيين وأقام الخطبة باسميهما[3].

وثالث حكام الدولة المدرارية هو أبو الوزير إلياس بن أبي القاسم الذي تولى بعد أبيه وحمل لقب الوزير لكن سرعان ما ثار عليه قومه وخلعوه[4]، تولى بعده أخوه اليسع بن أبي القاسم سنة 200هـ، وما يحتسب عليه صفاته السيئة التي اتصف بها، فقد ورد في كتابات أحد المؤرخين أنّه "كان جباراً عنيدا، فضاً غليظاً غزا بلاد درعة وأخذ خمس معادنها وأظهر مذهب الخوارج وقاتل عليه، وهدم ما كان أبوه قد بناه من سور المدينة"، فرغم هذه الصفات التي اتصف بها إلاّ أنه عمل عملاً جليلاً، فقد أعاد بناء سور المدينة أحسن من الأول جاعلاً لها اثنا عشر باباً محددة، لكن هذا العمل لم يمنع من

1- أبي عبيد، البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، د ط، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، بدون سنة، ص149.

2- محمد حسن، العيدروس، المرجع السابق، ص67.

3- أبي العباس أحمد، القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج5، د ط، دار الكتب الخيديوية، القاهرة، 1915م، ص165.

4- ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص130.

وجود مناوشات ضده فقد مات مقتولاً سنة 208هـ.[1]

فجاء بعده مدرار بن اليسع الملقب بالمنتصر بن سمغون وأهمّ ما ميّز عهده الاضطراب السياسي الذي حدث داخل أسرته بين ولديه المعروفين بميمون ابن بقية وميمون ابن أروى، فيذكر المؤرخين أن والدهما كان يميل إلى هذا الأخير حيث تنازل له عن الخلافة، إلاّ أنّ هذا الأمر أثار سكان سجلماسة فخلعوه وولوا مكانه أخاه ابن بقية فقد ضلّ واليا عليهم حتى توفي[2]، فاستخلفه ابنه محمد الذي توفي سنة 270هـ بعد حكم دام سبع سنوات ، تمكن خلاله من التوسع في البلاد المجاورة فوحّد إقليم تافيللت[*] تحت إمرته.[3]

تولى بعده عمه اليسع ابن المنتصر بن أبي القاسم الذي عرف بحسن سيرته، وكان عهده حافلاً بالأحداث السياسية[4]، فقد شهد توافد عبيد اللّه المهدي الفاطمي وابنه على مدينة سجلماسة، إلا أنه تفطّن لهذا الأمر وزجّهما في السجن، فكان هذا الأمر ما أثار ضدّه عبيد اللّه الشيعي الذي دخل معه في صراع عسكري قتل على إثره سنة 296هـ، وتمكّن عبيد اللّه الشيعي من الإفراج عن المهدي وابنه.[5]

وبعد عودة عبيد اللّه الشيعي إلى إفريقية بايع أهل سجلماسة الفتح بن ميمون أميراً عليهم، توفي هذا الأخير سنة 300هـ بعد أن قضى أقلّ من سنتين في خلافته، فخلفه أخوه أبو العباس أحمد الذي برز نوع من الاستقرار السياسي في عهده إلاّ أنّ عبيد اللّه

1- لسان الدين، ابن الخطيب: تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط، مأخوذ من كتاب أعمال الأعلام، القسم الثالث، تحقيق أحمد مختار، العبادي ومحمد إبراهيم، الكتاني، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1964م، ص، ص 141، 142.

2- ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص155.

(*) تافيللت: هي بلدة في إقليم سجلماسة قيل أنها تأسست على يد المرابطين بعد فتحهم لهذا الإقليم. من معجم البلدان ليقوت الحموي.

3- ابن الخطيب، المصدر السابق، ص145. وانظر أيضاً ابن خلدون، المرجع السابق، ج6، ص131.

4- نفسه، ص 145.

5- عصام الدين عبد الرؤوف، الفقي، المرجع السابق، ص162.

المهدي تدخّل وغير هذا الاستقرار وحاصر المدينة وافتتحها عنوة بقيادة مصالة بن حبوس[1] الذي قتل أبو العباس وأرسل رأسه إلى المهدي سنة 309هـ،[2] فمنذ هذا التاريخ بدأت تظهر التبعية المدرارية للفاطميين خاصة بعدما أقام مصالة بن حبوس المعتز بن ساور بن مدارر أميراً على سجلماسة، توفي هذا الأخير سنة 321هـ فخلفه ابنهُ محمد الملقب بأبي المنتصر الذي سار على نهج أبيه فاستقام ملكه عشر سنوات وتوفي سنة 331هـ ليأتي من بعده ابنه المنتصر الذي ظهرت في عهده أحداث سياسية جديدة غيرت مصير الدولة المدرارية، فقد وثب عليه إبن عمه محمد ابن الفتح الذي تلقب بالشاكر للّه وقطع الدعوة للفاطميين داعياً لنفسه متخذاً مذهب أهل السنة مذهباً مميزاً له والسكة باسمه التي كانت تسمى(الشاكرية)، توفي سنة 354هـ بعد أن حبسه جوهر الصقلي قائد الفاطميين فكان آخر خلفاء بني مدرار[3].

- **جهود الحكام السياسية:** من خلال عرضنا لحكام الدولة المدرارية قمنا باستنتاج مجهوداتهم السياسية للحفاظ على الدولة واستمراريتها.

1- لقد بدأت جهود حكام بني مدرار السياسية والعسكرية تظهر منذ البداية، من الوقت الذي قرر فيه حكامها الاستقلال بدينهم ودولتهم عن الخلافة العباسية، فسياسة الحياد هذه مكنتهم من الحفاظ على كيان الدولة.

2- اختيارهم لموقع سجلماسة اختيار موفّق ساعدهم على كسب مؤيدين من المغرب الأقصى وحتى من السودان.

3- يمكن أن يكون تعيينهم لعيسى بن يزيد الأسود السوداني قد ساعدهم على

1- ذكر ابن الخطيب أنّ اسمه مصالة بن حبوس الصنهاجي، وهو من أفضل قادة عبيد اللّه الشيعي بالمغرب، فتح فارس وسجلماسة والمغرب.

2- حمود، سادسة حلاوي: اختلاف المؤرخين في تحديد نهاية الدولة المدرارية في بلاد المغرب، مجلة لارك للفلسفة واللّسانيات والعلوم الاجتماعية العدد7، السنة الرابعة، 2012م، ص229.

3- نفسه، ص 229.

كسب التأييد ولفت الأنظار إلى إقرار مبدأ الإمامة القائم على المساواة.

4- اتخذوا سياسة المهادنة وعملوا على تحسين العلاقات مع الدول المجاورة، خاصة الدولة الرستمية كما كان منهم من قام بالدعوة للعباسيين.

5- يمكن أن تكون أسوار المدينة التي بناها حكام الدولة قد ساهمت أيضاً في تأمين الدولة من الخطر الخارجي.

6- يمكن أن يكون إقرارهم لمبدأ التبعية للفاطميين ما ساعد الدولة على الاستمرار لبعض سنوات.

الفصل الثاني

علاقة

الدولة المحلية

المبحث الأول: العلاقات الداخلية

أولا: علاقة بني مدرار بالدولة الرستمية

اتّسمت العلاقات بين دولة بني مدرار والدولة الرستمية بنوع من الاستقرار والودّ والتفاهم، ويمكن تفسير السبب في ذلك مرده إلى أنَّ كلاَ منهما أقام دولته على أساس المذهب الخارجي[1]، هذا وقد كانت كلا الدولتين تضم رعايا للأخرى حيث يذكر صاحب مجلّة المقتطف المصرية ليبدري بلخير أنَّ "الإباضيين في سجلماسة كانوا يرسلون زكاة أموالهم إلى مشايخهم بتيهرت وبالمثل كان ولاء الصفرية في تيهرت لصفرية سجلماسة"[2]، كما أنه هناك من كان يعتنق المذهبين معاً فيذكر ابن خلدون أن أبي القاسم "كان إباضياً وصفرياً"[3]، إلا أنه في الحقيقة لا يمكن أن نعتبر انتمائهم لمذهب واحد هو السبب الوحيد في تعزيز هذه العلاقة، بل ساعدت الظروف السياسية التي مرَّ بها كلا الطرفين في هذا التقارب، فقد عان هؤلاء من الأسلوب نفسه الذي كان يسوده الضغط والبطش والتنكيل من طرف الخلافة العباسية، إضافة إلى عدائهم المشترك للأغالبة والأدارسة والتقارب في حياة البداوة بين الدولتين.

بالإضافة إلى الأسباب السابقة التي ذكرناها لا يمكننا أن نتناسى دور الجانب الاقتصادي في هذه العلاقة المتميزة بين الدولتين، حيث كانت سجلماسة تقع في الطريق إلى السودان وبالتالي فهي منفذ هام لتنقّل القوافل التجارية داخل بلاد المغرب وخارجه ونفس الشيء بالنسبة للدولة الرستمية[4]، وزادت هذه الروابط وثاقة وإحكاماً منذ أن زوج اليسع بن إلياس ابنه مدرار من أروى إبنة عبد الرحمن بن رستم، وأنجب

1- محمد عيسى، الحريري، المرجع السابق، ص206.

2- بلخير، ليبدري: التاريخ الإسلامي والوسيط (العلاقات السياسية بين الدولة الرستمية ودول المغرب الإسلامي خلال القرنين الثالث هجري التاسع ميلادي)، مجلة المقتطف المصري التاريخية العدد5، السنة2، يونيو 2010، ص39.

3- عبد الرحمن، ابن خلدون، المصدر السابق، ص 172.

4- محمد عيسى، الحريري، المرجع السابق.

مدراراً من أروى ولدا سماه ميموناً[1].

ثانيا: علاقة الدولة المدرارية مع الدولة الإدريسية

بعد موقعة فخ سنة 169هـ فرّ إدريس بن عبد اللّه وأخوه يحي بن عبد اللّه فاتجه إدريس نحو المغرب الأقصى حيث التفّ حوله البربر في إقامة أول دولة علوية وهي الدولة التي نسبت إليه وسميت بدولة الأدارسة سنة 172هـ، وقد وافق وصول إدريس إلى المغرب نشاط الحركة الاستقلالية في هذه البلاد[2]، وكانت الدولة المدرارية من بين هته الدول المستقلة، التي تميزت بعلاقة عداء مع الدولة الإدريسة، وزاد من حدة هذا العداء الخلاف المذهبي، فالأدارسة سنين والمدراريون خوارج ولا يخفى العداء التقليدي بين المذهبين[3].

وبرغم إلحاح الدارسين السابقين على الخلاف المذهبي في تفسير هذا العداء نرى في العوامل السياسية والاقتصادية والاجتماعية والإستراتيجية الدافع الحقيقي لصياغته وتأصيله.

فسياسياً صادق المدراريون أعداء الأدارسة من البرغواطيين وبني رستم وبني أمية من الأندلس ، كما أنّ قيام دولة الأدارسة تمّ على حساب الخوارج الصفرية[4]، ويمكن أن يكون استيلاء إدريس الثاني على تلمسان التي كانت تعتنق المذهب الصفري الخارجي يعتبر خطراً على مصالح الدولة المدرارية، فقد عمل الأدارسة على مد نفوذ دولتهم في الأراضي التابعة لدولة بني مدرار، حيث تمكنوا من توحيد صنهاجة وبلدة تامدلت[5].

1- شهاب أحمد، نهلة: تاريخ المغرب العربي، ط1، دار الفكر، عمان، 2010م، ص، ص211_ 212.

2- حسن أحمد، محمود وأحمد إبراهيم، الشريف، المرجع السابق، ص411.

3- عباس نصر اللّه، سعدون: دولة الأدارسة في المغرب(العصر الذهبي 173هـ، 223هـ/ 788م، 835م)، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 1987م، ص165.

4- محمود، إسماعيل: الأدارسة(172_ 375هـ)، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1991، ص، ص136_ 137.

5- عصام الدين عبد الرؤوف، الفقي، المرجع السابق، ص140.

إلاّ أنّ بنو مدرار لم يحركوا ساكناً في مقابل ذلك حيث برز لهم رد فعل تمثّل في تحريض الصفرية في فاس على الثورة ضدّ أميرهم وفعلاً كان لهم ذلك[1].

فبرغم جهود الأدارسة في محاولة القضاء على نفوذ القبائل التي اعتنقت المذهب الصفري، كمديونة ومكناسة ومطغرة، ظلّت جماعات من الصفرية تقيم في دولة الأدارسة وإن كان ولاءها السياسي لبني مدرار، ويذكر المؤرخ محمود إسماعيل: « أنها كانت تدفع زكاة أموالها لشيوخ الصفرية بسجلماسة»[2].

فلم يمنع وجود الحاجز الطبيعي بينهما دون إمكانية غزو إحداهما للأخرى، والدليل على ذلك ما جاء في كتاب الأنيس المطرب من قول داوود بن القاسم بن عبد اللّه بن جعفر الأوربي الذي قال: « شهدت مع إدريس بعض غزواته للخوارج الصفرية من البربر فلقيناهم وهم ثلاثة أضعافنا»[3].

أمّا الجانب الاقتصادي لهذه العلاقة العدائية فقد تجسد في إقليم درعة الغني بالذهب والفضة الذي طمع فيه الأدارسة وكانت لهم رغبة في امتلاكه، بمّا أنّه المحرك الرئيسي في اقتصاد دولة بني مدرار[4].

ثالثا: علاقة الدولة المدرارية بدولة الأغالبة:

الدولة الأغلبية هي الدولة التي نسبت إلى الأغلب والد إبراهيم الذي كان آنذاك من الحرس الخاص للخليفة العباسي بقيادة عثمان بن ناهيك ...، فهذه الدولة ظهرت نتيجة الأحداث السياسية التي كانت بلاد المغرب مسرحاً لها، والتي قتل على إثرها ابن حبيب، هذا إضافة إلى إحراق بنو ورفجومة القيروان سنة 140هـ، ما أثار أبي

1- محمود إسماعيل، عبد الرازق، المرجع السابق، ص، ص137_ 138.

2- محمود إسماعيل، المرجع السابق، ص، ص 136، 137.

3- أبو الحسن علي، بن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، د ط، صور للطباعة، الرباط، 1972م، ص26.

4- محمود إسماعيل، عبد الرازق، المرجع السابق.

الخطاب الإباضي ضدّهم فتغلب عليهم، وعيّن عبد الرحمن بن رستم على ولاية إفريقية وقفل راجعاً استعداداً لملاقات جيوش الخلافة بقيادة محمد بن الأشعث، ويمكن أن يكون هذا سبباً في ظهور الأغلب على الساحة الإفريقية[1]، بعد أن فشل المهالبة في التصدي للخوارج بالمنطقة رغم مساندة الفقهاء والمعلمين لهم، إضافة إلى تعاطف البربر مع العباسيين في تلك الفترة[2].

وسط كل هذه الظروف التي ذكرناها ظهر ابن الأغلب على مسرح الحياة السياسية في بلاد المغرب، فقد كان ظهوره نتيجة لخدمته في جيوش بني المهلب، إلاّ أنّ ظهوره الفعلي كان بعد خلع الرشيد هرثمة بن أعين من ولاية إفريقية[3].

أمّا فيما يخص علاقة هذه الدولة الناشئة بدولة بني مدرار، فقد كانت امتداداً لعلاقات بغداد بسجلماسة لأنّ دولة بني الأغلب كانت تحكم باسم الدولة العباسية في بلاد المغرب[4]، وقد كان غرض الخلافة العباسية من إقامة دولة بني الأغلب هو الوقوف في وجه أي هجوم مباغت يأتي من قبل الدول المستقلة ضدّ الدولة العباسية في المشرق، ومحاولة استرداد المناطق التي خرجت عن سيطرتها، لذلك كانت علاقة الأغالبة ببني مدرار عدائية، إلاّ أنّ هذا العداء لم يبلغ حد التنازع والصراع بين الدولتين[5].

1- محمد، الطالبي: الدولة الأغلبية (التاريخ السياسي 184، 296هـ/ 800، 909م)، مراجعة حمادي، الساحلي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985م، ص، ص85، 87.

2- ابن وردان: تاريخ مملكة الأغالبة، تحقيق محمد، زينهم ومحمد، غرب، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1988، ص29.

3- نفسه، ص32.

4- محمود، إسماعيل: الأغالبة (184_ 296هـ) سياستهم الخارجية، ط3، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الهرم، 2000م، ص95.

5- محمود إسماعيل عبد الرازق: المرجع السابق، ص133.

المبحث الثاني: علاقات الدولة المدرارية الخارجية

لم تقتصر علاقات الدولة المدرارية بالدول الداخلية المجاورة لها فقط بل كانت لها علاقة تربطها بعدة دول خارج المغرب ومن ذلك:

أولا: علاقة الدولة المدرارية بالدولة الأموية في الأندلس

قامت الدولة الأموية بالأندلس على يد عبد الرحمن بن معاوية سنة 138هـ الذي فرّ إلى المغرب الأوسط ومنه إلى الأندلس بعد أن قضى العباسيون على نفوذ الخلافة الأموية بالمشرق[1]، فقد لقّب هذا الأخير باسم عبد الرحمن الداخل بعد تأسيسه للدولة الأموية بالأندلس التي ظهرت في جوّ من التوتر والاضطراب السياسي، فلم تكن له علاقات قوية مع بربر الأندلس وأهل البلاد، إلاّ أنّ ذلك لم يمنعه من إقامة كيان سياسي متين، فقد ساعدته صفات السيادة والحزم وحسن التدبير...إلخ التي تميّز بها رغم صغر سنّه ، إضافة إلى اعتماده على خيرة الرجال من موالي بني أميّة[2].

أما عن علاقة قرطبة بدولة بني مدرار الصفرية بسجلماسة فلم تظهر إلاّ بعد ظهور محمد بن عبد الرحمن الأوسط، فقد كان كلا الطرفان يُكنُّ عداءاً للعباسيين وخلفائهم الأغالبة هذا من جهة ، وعدائهم التقليدي للأدارسة العلويين في فاس من جهة أخرى، فضلاً عن علاقة المصاهرة التي كانت بين المدراريين وبني رستم أصدقاء بني أمية في الأندلس التي التقى من خلالها الطرفان في ظل ما يسمى بالمصلحة السياسية المشتركة رغم الاختلاف المذهبي وبعد المسافة بينهما[3]. كذلك كان توسع الأغالبة في حوض المتوسط وتهديدهم لنفوذ الأمويين في جزر البليار من العوامل التي دفعت بعبد الرحمن الثاني إلى توثيق صلاته مع إمارات المغرب المستقلة خاصة المدراريين بسجلماسة، بعد أن شابها نوع من التوتر في عهد سابقه الحكم بن

1- محمد أمين، محمد ومحمد علي، الرحمن: المفيد في تاريخ المغرب، د ط، دار الكتاب، المغرب، دون سنة، ص69.

2- حسين، مؤنس، المرجع السابق، ص299.

3- عبد العزيز، فيلالي: العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب ، ط2، دار الفجر للنشر، القاهرة، 1999م، ص، ص127_ 128.

هشام إثر ثورة الربض بقرطبة ونزوح أعداد كبيرة منهم إلى سجلماسة، إلاّ أنّ هذه الفجوة لم تدم طويلاً فسرعان ما استعادت العلاقات طابعها الودي بين الدولتين[1].

ثانيا: علاقة الدولة المدرارية مع الدولة العباسية:

الدولة العباسية هي الدولة التي نسبت إلى أبو العباس السفاح التي أسسها سنة 132هـ، أمّا عن علاقة الدولة المدرارية مع الدولة العباسية فقد بدأت منذ وقت مبكّر، منذ أن وفد جيش محمد بن الأشعث الخزاعي على إفريقية فقد كانت حركته ضدّ الخوارج عامة بما في ذلك الصفرية[2].

فلم يشأ الخليفة المنصور أن يترك المغرب ينسلخ عن نفوذه، إذ تمكن جيشه من استرداد المغرب الأدنى بينما بقي المغرب الأقصى في معزل عن الخلافة العباسية[3].

أمّا في عهد أبو القاسم سمكو بن واسول، فقد برز نوع من الاستقرار والرخاء في إمارته فكان أقلّ الأعمال التي قام بها في سبيل تحقيق ذلك هو مساعدة الولاة العباسيين في القيروان، إذ لم يرى جدوى من الحركات التي قامت ضدّهم ما دامت لم تكلّل بالنجاح، إضافة إلى أنَّه قام بالدعوة للمنصور والمهدي[4]. ويمكن أن يكون انتهاج أبا القاسم لسياسة المسالمة مع العباسين أنّه كان معاصراً للوالي يزيد بن حاتم الذي كُلّف بالقضاء على ثوراتهم وتعقب فلولهم، لذلك وخوفاً على كيان إمارته عمل على تقديم فروض الطاعة والتبعية والمهادنة للدولة العباسية[5]، فربما ساعد هذا على استمرارية الدولة المدرارية إلى حين.

1- محمود إسماعيل، عبد الرازق، المرجع السابق، ص، ص141_ 142.

2- عبد الجبار، ناجي، المرجع السابق، ص65.

3- إبراهيم، أيوب، المرجع السابق، ص42.

4- محمود، شاكر: التاريخ الإسلامي للدولة العباسية، ج1، ط6، المكتب الإسلامي للنشر، بيروت، 2000م، ص122.

5- محمود إسماعيل، عبد الرازق، المرجع السابق، ص140.

ثالثا: علاقة الدولة المدرارية ببلاد السودان

يمكن أن نقول أنَّ علاقة الدولة المدرارية بدولة السودان نشأت منذ نشأة الدولة المدرارية خاصة وأنّ أوّل حاكم لها كان من أصل سوداني (عيسى بن يزيد الأسود)، ويمكن أن يكون السبب في تولية حاكم دولتهم من أصل سوداني هو العلاقة الودية بين الدولتين التي جعلت هذا العنصر يغلب على سكان مدينة سجلماسة في تلك الفترة[1]، كما لا يمكن استبعاد دور الجانب الاقتصادي في هذه العلاقة خاصة إذا علمنا أنَّ مدينة سجلماسة كانت تقع في الطريق المؤدي إلى بلاد السودان[2]، كما كانت التجارة بين سجلماسة وبلاد السودان الغربي وما جاورها من المدن السبب في وصول الإسلام إلى تلك المناطق، إذ كانوا يقومون بنشر الإسلام أثناء المعاملات التجارية وبالتالي نشر اللغة العربية وبذلك انتشر الدين الإسلامي في مجموعة كبيرة من المدن والقرى[3].

1- عصام الدين، الفقي، المرجع السابق، ص160.

2- عماد الدين، أبي الفداء، المصدر السابق، ص137.

3- حسين، مؤنس: تاريخ المغرب وحضارته، ج1، ط1، الدار السعودية، جدة، 1985م، ص، ص359، 360.

الفصل الثالث

البـــــــــــــانـــــــــــي

الاقتصادي والاجتماعي

للدولة والسقوط

المبحث الأول: الجانب الاقتصادي

لا شك أن الاقتصاد عنصر حيوي بالنسبة لكل دولة، قديما وحديثا لأن المال بمثابة ماء الحياة بالنسبة للدولة والمجتمع، وبقدر ما يتوفر المال بقدر ما تتوفر للدولة القدرة على إنتاج المشاريع الأساسية من زراعية وصناعية واجتماعية، وعلى هذا الاعتبار نلقي نظرة عامة على الأوضاع الاقتصادية في عهد الدولة المدرارية من زراعة وصناعة وتجارة.

أولا: الرعي والزراعة:

تعتبر حرفة الرعي من الحرف المهمة في البلاد، وذلك لوجود المراعي الخصبة الواسعة، وهي المهنة التي يعمل بها أكثر سكان بلاد المغرب وخاصة المناطق الصحراوية، فقد تحدث ابن حوقل عن أهمية هذه الحرفة، حيث جعلت البلاد للمراعي والزرع وجعلت أحواض المياه لورود الإبل والماشية[1].

فليس من الغريب أن تولي دولة سجلماسة جل اهتمامها بهذه الحرفة فقد كان أبو القاسم سمكو ابن واسول ينزل بالأرض التي أنشأ عليها مدينة سجلماسة ومعه عدد كبير من الماشية[2]، فأما مواشيها فكانت من الدواب، الخيل، البغال، والحمير والإبل والبقر، أما الجاموس فلا يوجد عندهم وأما الطير فيها منه الإوز والحمام والدجاج ونحوها الكركي[*]، إضافة إلى الوحوش في سجلماسة التي كان منها الوحش الحمر، البقر والنعام والغزال... وغيرها[3].

1- ابن حوقل، ابن القاسم النصيبي، صورة الأرض، د.ط، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1995، ص100.

2- ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ص155.

(*) الكركي: طائر كبير معروف والجمع كراكي، وهو غير طويل الساقين، وهو من الطيور التي يحل أكلها للاختلاف، كما أطلقوا عليه اسم الفرنوق وهو صيد الملوك.

3- القلقشندي، المصدر السابق، ص، ص 176_ 177.

إضافة إلى الرعي فقد مارس سكان سجلماسة الزراعة التي أسهمت في ازدهار اقتصاد هذه الدولة، وما ساعد على ذلك توفر الماء فيها الصادر من نهر ملوية[1]، ونهر زيز المتدفق من جهة الشرق من الصحراء، يزيد في الصيف كزيادة نهر النيل، كما ارتكزت زراعة سلجماسة على مياه الأمطار، وعندما كانت تأتي الأمطار غزيرة ينبت ما قاموا بحصاده سابقا من غير بذر، وهو دليل على أن أهل سجلماسة يجنون الزرع ولكن يبقون على أصوله لينبت ثانية، فكلما أغدقت الأرض في عقب أخرى حصدوه سبع سنين، وقيل أنهم يزرعون عاما ويحصدون بعد ثلاثة أعوام[2].

ولعل من أهم محاصيل سجلماسة، التمور، لذلك تكثر بها زراعة النخيل فله أهمية كبيرة، فقد بلغت أنواع التمر الموجودة في سجلماسة ستة عشر صنفا، لم يذكر منها سوى صنفين هما (الدقل، العجوة)[3].

أما بقية الفواكه فمنها: العنب والتين والرمان والزيتون والسفرجل والتفاح على أصناف والكمثري والمشمش والبرقوق والخوخ والتوت والجوز واللوز والليمون، والبطيخ بأنواعه والباذنجان والقرع واللفت والجزر والكرنب والشمار والموز.

أما أهم البقول: الشعير الدخن، الذرى، الفول، العدس، الحمص، القطن، الكمون، السلت والأرز، والسمسم.

أما الأزهار، فيها الورد والبنفسج والياسمين والآس والنرجس والسوسن والبهار وغير ذلك[4].

أما أراضي مدينة سجلسماسة فهي سهلية سبخة[*].

1- عصام الدين عبد الرؤوف، المرجع السابق، ص161.

2- محمد عبد المنعم، الحميري، المصدر السابق، ص 155.

3- ياقوت الحموي، المصدر السابق، ص 192.

4- القلقشندي، المصدر السابق، ص ص175-176، وأنظر أيضا: البكري، المصدر السابق، ص151.

(*) سبخة: أرض ذات نز وملح، جمعها سباخ، ما يعلو الماء، وقيل هي أرض منخفضة قريبة من مستوى الماء الباطن أو سطح البحر وهي أرض شديدة الملح.

ثانيا: الصناعة:

أما في مجال الصناعة والحرف التي تقوم عليها، فليست لدينا معلومات كثيرة، ولكن مع ذلك فإن المداريين لا يعدمون وجود بعض الصناعات اليدوية ويبدوا أن المناجم والمحاجر التي تقع في منطقة درعة وسجلماسة الغنية بمعدني الذهب والفضة التي تمد هاته الصناعات بالمواد الأولية[1].

فيؤكد البكري أن هذه البلاد مشهورة بالذهب[2]، كما يذهب الاصطخري إلى القول:« بأنّها بلاد قريبة من معدن الذهب بينها وبين أرض السودان زويلة، ويقال إنه لا يعرف معدن للذهب أوسع ذهبا ولا أصفى منه»[3].

كما وجدت أيضا صناعة النسيج وهي المأخوذة من الصوف والقطن، فقد برعت النساء في هذا المجال على حد قول المؤرخين أن لنسائهم يد صناع في غزل الصوف[4]، كذلك صناعة الجلود وقد برع أهل سجلماسة في صناعة الأحذية ودبغ الجلود، حيث اشتهر النعل السجلماسي شهرة واسعة[5]، بالإضافة إلى صناعة الأدوات الحربية، أهمها صناعة السيوف، وخاصة وأن مدرار جدّ حكام بني مدرار كان حداداً برع في صناعة أجود السيوف حتى أن أبا القاسم سمكو أعجب به[6] "كما صنعوا الدرع اللمطية التي لا شيء أبدع منها ولا أصلب منها ولا أحسن منها صنعا، وبها يقاتل أهل المغرب لحصانتها وبهذه المدينة قوم يصنعون السروج واللجم"[7].

1- محمود إسماعيل، المرجع السابق، ص137.

2- البكري، المصدر السابق، ص 149.

3- أبو إسحاق إبراهيم الاصطخري، المسالك والممالك، د ط، القاهرة، 1961، ص34.

4- ياقوت الحموي، المصدر السابق، ص192.

5- محمد سوداي، دراسات في تاريخ المغرب العربي من القرن الثالث الهجري حتى القرن الرابع هجري، مطبعة التعليم العالي، جامعة البصرة، د ط، 1989، ص129.

6- لسان الدين بن الخطيب، المصدر السابق، ص ص140-141.

7- الشريف الإدريسي، المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، مطبع برين-لندن، 1863، ص60.

أمّا الصناعات الغذائية فقام أهل سجلماسة بصناعة السكر، حيث تكثر أشجار قصب السكر بجزائر بني مزغنان(*) وسلا، ويعصر ثم يعمل منه القند(*)، ومن القند للسكر على أنواع خاصة بمدينة مراكش التي قيل أنها أربعين معصرة للسكر، إذ أن حمل حمار من القصب يساوي درهما من دراهمهم، والذي يساوي ثلثا من الدراهم المصرية، كما يصنع منه أيضا الكرر الفائق[1]، إضافة إلى صناعات أخرى اهتموا بها كصناعة البناء التي كانت تختص باليهود الذين كان لهم دور بارز في مدينة سجلماسة، إلى جانب صناعات أخرى كصناعة السكر وتكرير الملح وضرب السكة[2].

ثالثا: التجارة

نتيجة اهتمام دولة بني مدرار بحرفتي الزراعة والصناعة تولدت حرفة التجارة، التي تعتبر العامل الأساسي لازدهار وحضارة أي دولة، فقد كان لدولة سجلماسة نشاط تجاري واسع داخل بلاد المغرب وخارجها والذي ساعد على بلورة هذه الحركة هو الأمن والاستقرار الذي شهدته الدولة في تلك الفترة.

فقد كانت سجلماسة مركزا أو قاعدة تجارية نشطة في بلاد المغرب، وهمزة وصل تجمع بين بلاد المغرب والأندلس والسودان الغربي والمشرق الإسلامي والغرب الأوروبي أيضا، بل أصبحت مركزا تجاريا مهما على حد قول الجنحاني[3]، وكانت سجلماسة وجهة التجار من كل المناطق العربية حيث كان التجار المغاربة عموما ينقلون سلع المشرق والمغرب إليها ومن هذه الأخيرة إلى بلاد السودان ويعودون محملين بمنتوجات إلى كل بلدان المشرق والمغرب، ولأهل هذه المدينة غلات القطن والكمون والكرواياء

(*) جزائر بني مزغنان: أو مزغناي، مدينة تقع على البحر الأبيض المتوسط، بها العديد من الأسواق، تكثر بها العيون العذبة، بها الكثير من السمن والفسل والتين.

(*) القند: هو عسل قصبة السكر، هو لفظ معرب من كندا أي عصارة أو العميل المستخرج من قصب السكر بعد تجميده.

1- القلقشندي، المصدر السابق، ص176.

2- إسماعيل عبد الرزاق، المرجع السابق، ص ص275-276.

3- الحبيب الجنحاني، بحوث في تاريخ الحضارة الإسلامية (الحياة الاقتصادية والاجتماعية في سلجماسة)، د ط، مؤسسة شباب الجامعة، 1997، ص ص129-130.

والحناء يتجهز منها سائر بلاد المغرب[1]، ويضيف ابن حوقل "أن سعر الطعام بها غال في كل الأوقات لأنه يجلب إليها ولا يزرع بها مثل الشعير والقمح، إلا القليل، وهي من السعة والبيوع والأشربة في الأسواق، وكثر الوارد والصادر عليها ملتمسين للسير والتجارة بما لا يدانيها فيه مدينة مما قاربها"[2].

كما لا يخفى الدور الذي لعبته مدينة تيهرت في تعزيز المبادلات التجاري في منطقة سجلماسة وما يؤكد ذلك وجود الجاليات اليهودية في كل منهما، خاصة إذا علمنا أن اليهود اشتهروا بالنشاط التجاري، وبدون شك أنهم لعبوا دور الوسيط في تنمية التجارة بين العاصمتين[3].

ولاسيما إذا علمنا أن سجلماسة كانت تتوفر على كمية هائلة من الذهب المستورد من السودان وعلى العملة التي ضربت فيها بسبب تدفق الذهب عليها[4].

كما كانت التجارة بين سجلماسة والسودان الغربي، وما جاورها من المدن، السبب في وصول الإسلام إلى تلك المناطق، إذ كانوا يقومون بنشر الإسلام أثناء المعاملات التجارية، وبالتالي نشر اللغة العربية وبذلك انتشر الدين الإسلامي في مجموعة كبيرة من المدن والقرى[5].

أمّا عن سياسية التعامل التي سار عليها بني مدرار مع القوافل التجارية تختلف عن غيرهم من القبائل المجاورة، فالقبائل البرنسية المقيمة في بلاد السوس وفاس

1- الشريف الإدريسي، المصدر السابق، ص 60.

2- أبي القاسم ابن حوقل، المصدر السابق، ص92.

3- منصور عبد الحفظ، الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في عهد الإمارة الرستمية (144هـ-296هـ)، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير، معهد العلوم الاجتماعية، جامعة قسنطينة، 1984/1983م، ص ص130-131.

4- أبي القاسم ابن حوقل، المصدر السابق.

5- حسين مؤنس، تاريخ المغرب وحضارته، ط1، دار السعودية، جدة، 1980، ص ص309-310.

وأغمات، يجبرون القوافل المارة من فاس إلى سجلماسة على دفع مما معهم من بضائع على عكس أهل سجلماسة الذين عرفوا بحسن الخلق[1].

وتعددت الطرق التجارية بين سجلماسة وغيرها من المدن وهي كالتالي:

- طريق يبدأ من بغداد والبصرة والأنبار، وهيت والرقة وحران والرها وتل موزن وحلب ودمشق وطبرية والرملة ثم إلى مصر، حيث تمر بالفسطاط والإسكندرية ثم إلى بلاد المغرب مارة ببرقة والدولة الرستمية والدولة المدرارية ثم بلاد السودان وما جاورها، ثم تعود وهي محملة بالخيرات الكثيرة.
- طريق يبدأ من وجدة ثم إلى قرية صاع إلى جبل برنسيسيان، ثم إلى قير ومنها إلى الإحساء، ثم إلى لامسلي، ثم دار الأمير ومنها إلى سجلماسة.
- طريق يبدأ من تلمسان متجهاً إلى الجنوب الغربي تمر القوافل إلى مدينة تبزيل ثم يصل عن طريقها إلى سجلماسة، ثم إلى وارجلان.
- طريق يبدأ من فاس باتجاه الجنوب، حيث تسير القوافل إلى مدينة صفروي ثم إلى موضع يعرف بالمزي، ومنه إلى تاسغمرت، ثم إلى موقع يقال له أنغاك على مسافة 60 ميلا، ومنه يصل إلى مدينة سجلماسة.
- طريق يبدأ من سجلماسة ثم إلى موضع يسمى تيحمامين، ثم إلى وادي درعة ومنه إلى موضع يسمى أذامست، ثم إلى ورزازت ثم إلى بلاد هكسورة فقبيلة هرزجة ثم إلى أغمات.
- طريق يمر باتجاه الجنوب وهوطريق صحراوي طويل وعر المسلك متجه نحو بلاد السودان.
- طريق يخرج من سجلماسة ثم تاهرت ثم إلى القيروان.

[1] ابن حوقل، المصدر السابق، ص99.

- طريق يبدأ من فاس إلى صفروي ثم قلعة مهدي، فتادلة ثم وادي شعب الصفا ثم يمر عبر الجبل الكبير باتجاه الجنوب حيث توجد مدينة سجلماسة[1].

1- البكري، المصدر السابق، ص77-147-182-152-153. أنظر أيضا الحميري، ص235-236-477-478. وابن حوقل، المصدر السابق، ومحمد سوادي، المرجع السابق، ص80، وعبد الرزاق، المرجع السابق، ص278.

المبحث الثاني: الجانب الاجتماعي وسقوط دولة بني مدرار

حظيت الدولة المدرارية بفضل موقعها بمكانة اقتصادية هامة، جعلت الهجرة إليها من كل حدب وصوب ما أسهم في تنوع عناصر المجتمع بها، فكان من بينها.

أولا: الحياة الاجتماعية:

يعتبر البربر أهم عنصر في المجتمع المغربي، والذين دعموا الخوارج الصفرية، ومنهم خرجت القبائل التي كونت مجتمع دولة سجلماسة، حيث انتهزت جماعات من بربر مكناسة فرصة ابتعادها عن القيروان وانشغال العرب بمنازعاتهم مع البربر ومع أنفسهم، وأقامت بطون من نفوسة على منابع نهر ملوية عند الموقع الذي قامت فيه بلدة سجلماسة، وكانت هذه القبائل تسيطر على تازا وتسول[1]، كما كانت دولة بني مدرار تضم عددا من قبائل صفرية المغرب من البتر والبرانس ومكناسة، وزناتة وصنهاجة، وزويلة ومسوفة ولمتونة التي تعاونت على بناء مدينة سجلماسة، وبعد أن تم بناء المدينة توافدت العديد من القبائل البربرية التي تقيم في واد ملوية ونواحي تازا وتاسور والمغرب الأقصى[2]، ثم يأتي عنصر السودان الذين ساهموا مع البربر في بناء المدينة وفي نشر الإسلام، ولجوء بني مدرار لهذا العنصر دليل على قوته وكثرته[3].

إضافة إلى الجاليات اليهودية التي ساهمت في التجارة بين مدينة تيهرت وسجلماسة[4]، كما كان لهم تأثير على أمور الدولة، فمن المحتمل أن يكون لهم دور في الصراع الذي حدث بين ابني مدرار بن اليسع، بل ربما كانوا الأداة المحركة له، كما قام أحدهم بالوشاية على عبيد الله المهدي لدى اليسع بن مدرار، ولعل السبب في ذلك هو أن هؤلاء تنبؤوا بالمكانة التي سوف يصل إليها عبيد الله المهدي[5].

1- حسين مؤنس، فجر الأندلس، ط2، الدار السعودية، جدة، 1985، ص186.

2- محمود إسماعيل عبد الرزاق، المرجع السابق، ص288.

3- محمود إسماعيل عبد الرزاق، المرجع نفسه، ص، ص287-288.

4- منصور عبد الحفظ، المرجع السابق، ص، ص 130، 131.

5- الحميري، المصدر السابق، ص ص305-306.

منذ أن تم بناء مدينة سجلماسة والمركز التجاري الذي وصلت إليه هذه المدينة جعل أعداد غفيرة تقطن هذه المدينة منهم أهل العراق والبصرة والكوفة وبغداد فكانت قوافلهم تجوب بالمغرب إلى سجلماسة هم وأولادهم ولهم تجارة رائجة في البلاد، فقوافلهم تنتقل من مكان إلى آخر سعياً وراء الكسب والأرباح الكبيرة[1].

كما كان يقيم بسجلماسة العديد من الرقيق الذين كانوا البضاعة الأساسية في الدولة، حيث يتمّ جلبهم من بلاد السودان من أجل العمل من بلاد أودغست وغانة[2].

ثانيا: العادات والتقاليد:

يختلف كل قطر أو إقليم إسلامي عن غيره من حيث العادات والتقاليد فإقليم المغرب يختلف عن إقليم المشرق أو أي إقليم آخر، هذا بشكل عام، أما الشكل الخاص فنجد في المغرب نفسه اختلاف في عادات وتقاليد كل قطر، فقد انفرد المغرب الأقصى من حيث العادات والتقاليد عن المغربين الأدنى والأوسط، ولكن هذا القول لا ينفي وجود اشتراك بين المجتمع في بعض العادات والتقاليد.

ومن العادات التي انفرد بها إقليم المغرب الأقصى أنه شعب محب لسفك الدماء، يكثر به الحسد والحقد والغل...الخ، فيعتبر قتل الإنسان عندهم مثل ذبح العصفور، حيث يقول القلقشندي:«وكم قتيل قتل عندهم على كلمة وهم بالقتل يفتخرون»، هذا إلى أنهم عرفوا بكثرة التنافس فيما بينهم، والتهور والمفاتنة وأيضا البخل دون الأغنياء منهم الذين كانوا يوصفون بالسماحة والمفاخرة[3].

1- ابن حوقل، المصدر السابق، ص50.

2- محمود إسماعيل، عبد الرازق، المرجع السابق، ص286.

3- القلقشندي، المصدر السابق، ج5، ص178.

إضافة إلى هذه الصفات فقد ذكر عن قوم سجلماسة أنهم قوم شجاعة، وهمم عالية وأخلاق رفيعة، يخالفون أهل المغرب في معاملاتهم وعاداتهم، ومسارعة في أعمال الخير وتجنب الشر[1].

ومن عاداتهم أيضا أنهم يسمنون الكلاب والذئاب والجرذون ويأكلونها[2].

ثالثا: سقوط دولة بني مدرار على يد الفاطميين:

يمكن القول أن الدولة الفاطمية تدين بظهورها في بلاد المغرب إلى عبد الله الشيعي[3] فقد نجح هذا الأخير في تثبيت دعائم الحكم في القيروان بواسطة زعماء من قبيلة كتامة فبعد أن استقر له الأمر، أرسل إلى عبيد الله المهدي وابنه القاسم للمجيء إلى القيروان، فشد عبيد الله رحله من الشام إلى مصر ثم برقة، ثم طرابلس، متخفيا في ثياب التجار، فوقع في أيدي ولاة الدولة العباسية لكن استطاع الإفلات، إلا أنه وقع في أسر بني مدرار أمراء سجلماسة[4].

وخلال تواجد المهدي في سجنه كان أبو عبد الله حريصا أولا على إنقاذ حياة المهدي، الذي سعى إلى ملاطفة اليسع وعدم إظهار أي عداء ضده[5]، رغم أنه كان باستطاعته الاستيلاء على سجلماسة والقضاء على حكم بني مدرار في يسر وسهولة.

لكن بعد أن وصل أبو عبد الله إلى أطراف سجلماسة أرسل رسله إلى ابن مدرار يخبره أنه لم يأتي من أجل الحرب وأكد له ذلك وبالغ فيه لكن ابن مدرار قام بقتل هؤلاء الرسل[6].

1- ابن حوقل، المصدر السابق، ص96.

2- الحميري، المصدر السابق، ص305-306. أنظر أيضا: البكري، المصدر السابق، ص148.

3- محمد جمال الدين، سرور، تاريخ الدولة الفاطمية، د ط، دار الفكر العربي، مدينة نصر، ص27.

4- علي محمد الصلابي، المرجع السابق، ص45.

5- فرحات الدشراوي، الخلافة الفاطمية بالمغرب (296-365هـ/909-975م) التاريخ السياسي والمؤسسات، ترجمة:حمادي الساحلي، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1994، ص178.

6- علي حسن الخربوطلي، أبو عبد الله الشيعي، مؤسسة الدولة الفاطمية، د ط، المطبعة الفنية الحديثة، 1972م، ص45.

فجهز أبو عبد الله الشيعي جيشا ضخما فتوجه به نحو سجلماسة فخرج إليه اليسع بن مدرار فيمن معه فما لبث أن اقتحمته الخيل في المدينة، حيث دارت بينهم معركة قوية استمرت ساعة قتل فيها عدد كبير من جيش اليسع بن مدرار، ثم تمكن عبد الله الداعي من الدخول إلى معسكر العدو، فتراجع الجيش إلى المدينة فتبعهم عبد الله بجيشه إلا أن جيش عبد الله اضطر للتراجع إلى معسكرهم بسبب قرب المساء وحلول الظلام.

فما كان من اليسع بن مدرار إلا الهروب بأهله دون أن يعلم أحد عن هذا الأمر، فبلغ الأمر عبد الله الشيعي، فتوجه هذا الأخير إلى سجن عبيد الله المهدي وأخرجه وابنه، ثم طلب من أهل سجلماسة الخروج من البلاد[1].

وهنا يلاحظ الاختلاف بين المؤرخين فهناك من يجعل نهاية الدولة المدرارية بسجلماسة سنة 296هـ ومن بينهم ابن الأثير الذي يذكر هذا فيقول:« فلما ظهر المهدي أقام بسجلماسة أربعين يوما، وسار إلى إفريقية وأحضر الأموال من إيكجان، فجعلها أحمالا وأخذها معه ووصل إلى رقادة في العشرة الأخيرة من ربيع الآخر من سنة سبع وتسعين ومائتين وأزال ملك بني الأغلب وملك بني مدرار » [2].

يبيّن لنا كلام ابن الأثير أن سنة 297هـ هي سنة سقوط الدولة المدرارية رغم بقائها إلى سنة 354هـ، حيث يختلف ابن عذاري مع ابن الأثير في تاريخ السقوط فقد جعله ابن عذاري سنة 296هـ[3] إلا أنه يتفق معه في أن آل مدرار انقرضوا نهائيا كدولة بعد دخول أبو عبد الله الشيعي إلى المدينة – سجلماسة –[4].

1- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، تحقيق فرحات الدشراوي، ط2، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1996، ص،ص 279،284.

2- ابن الأثير، المصدر السابق، ص138.

3- ابن عذارى، المصدر السابق، ص96.

4- سادسة، حلاوي حمود، المرجع السابق، ص229.

خاتمة:

من خلال عرضنا السابق ودراستنا للموضوع المتمثل في" الدولة المدرارية بسجلماسة" يمكن أن نصل إلى النتائج التالية:

- إن ضعف سياسة أي دولة من الدول تجعل أرضها خصبة لنشوء الفتن والصراعات الداخلية والخارجية، مما يجعل سقوط الدولة وهي في أوج مجدها أمرا محتوما، وهذا ما وجدناه من خلال الموضوع، فلو كانت سياسة جميع ولاّة المغرب حسنة لما قامت الثورات ببلاد المغرب ضد سلطة الخلافة، والتي كانت من أسباب ظهور الدول المستقلة بالمنطقة.
- قيام دولة قوية كدولة بني مدرار في بلاد المغرب دليل على قوة سياسة قادتها، وقوة أهلها وسكانها المناصرين، والموقع الجغرافي الذي ساعد على ظهورها، فقد تجمعت هذه الأمور لتعطي لهذه الدولة طابعا مميزا عن غيرها من الدول المجاورة لها، إذ لم تتمكن أي دولة من دول المغرب من القضاء عليها إلا عن طريق الحيلة والغدر من قبيلة كتامة و"عبيد الله الفاطمي الشيعي"، وحتى بعد أن سيطر عليها الفاطميون لم يتمكنوا من فرض سيطرتهم النهائية عليها، بسبب قوة أصحاب هذه الدولة، فجعل الحكم بيد حكام بني مدرار مع التبعية الاسمية للدولة الفاطمية.
- أدى ضعف الخلافة العباسية إلى عدم قدرتها في القضاء على هذه الدولة، فاتخذت معها سياسة اللين، بل كان يتم تبادل تجاري بينهم، حيث تمكنت الدولة المدرارية من أن تحوز على مركز تجاري قوي وفعال، فكانت بوابة لتجارة السودان وما جاورها من المدن التي كانت تملك معدن الذهب الذي كان مطلوبا لدى جميع الدول، وقد استمر هذا المركز حتى بعد سقوط دولة بني مدرار.

- إن علاقة دولة بني مدرار مع غيرها من المدن شرقية كانت أم غربيةأو حتى جيرانها علاقة تبادل مصالح، إذ لم يكن لاختلاف المذهب الديني تأثيرا كبيرا على هذه المصالح، والدليل على ذلك علاقة المصاهرة بين الدولة المدرارية الصفرية مع الدولة الرستمية الإباضية.
- مع أن دولة سجلماسة دولة خارجية صفرية إلا أن هذا الأمر لم يمنع من نزوح أعداد غفيرة وعناصر بشرية مختلفة في أرض سجلماسة، بحيث ساهمت هذه العناصر المختلفة القاطنة بها من إدخال تغيرات كبيرة من حيث العادات والتقاليد، حتى أصبحت مدينة مرنة يقصدها الكثير من التجار.
- رغم الصعوبات التي واجهت دولة سجلماسة إلا أنها صمدت ما يقرب قرنين من الزمان في أيدي حكام بني مدرار.
- رغم وجود اختلافات بين المؤرخين حول هذه الدولة، وحول تسميتها وتاريخها لم يؤدي إلى دثرها ونسيانها، لكن يبقى جميع ما توصل إليه البحث من معلومات حول دولة بني مدرار معلومات غير كافية، فنأمل أن تتواصل البحوث والدراسات عن معلومات أخرى جديدة تساعد على معرفة أو كشف ما لم يتمكن البحث من الوصول إليه.

ملاحة

الشكل رقم (01):

خريطة بلاد المغرب العربي الإسلامي.

نقلا عن / د. عصام الديم عبد الرؤوف الفقي، . تاريخ المغرب والأندلس

الشكل رقم (02):

نقلا عن / أطلس التاريخ العربي الإسلامي. د. شوقي أبو خليل

حديث المعز لدين الله الفاطمي إلى المنتصر لله المدراري وشيوخ الصفرية بسجلماسة

«...يا اهل سجلماسة فعلتم ما فعلتم في أيام المهدي بالله واقتدر عليكم مرة بعد الأخرى، فعفا عنكم، وأحسن إليكم لحلوله فينم ومجاورته إياكم مدة إقامته فيكم، كما يرعاه من أحله الله محله من كرم الطباع وحسن صنيع من غير يد كانت له عنده، ولا فعل من الجميل تقدم لكم لديه، فصفح وأحسن، وعفا وأجمل، فما رعيتم ذلك حق رعايته، ولا فهمتم بشكره.

ثم لقى فيكم ناعق من الشيطان، فلبثتموه، ودعلكم اليه داع، فأخبرتموه قام فيكم دعا فيم ادعاه يتوثب على ما تولاه، فقد عرفتم نسبه ودريتم سببه فيتغلب على ظاهر امركم، وتحلى بالرياسة والتصنيع لكم، تسمى بأمير المؤمنين وامام المسلمين لكم، على علم لا تشكون ويقين لا تمترون أن ذلك لا يجوز ولا يحل تسليمه فسلمتموه بمثله له، وأطعمتموه وتوليتموه وابتعتموه، ففارقتكم جماعة المسلمين وخرجتم من حزب المؤمنين وأحدثتم حدثا عظيما في الدين، وأنهى إلينا من أمركم وأمره مالم يسعى تركه والغفلة عنه، لما افترضه الله علينا، عزّ اسمه من القيام بحقه في أرضه وجهاد من صدف عن دينه وسنة رسوله وحل محلكم ومحل هذا الفاسق فيكم فأنهضنا إليكم جيشا من أولياءنا أنصار دولتنا وعبيدنا مع عبد أمرناه عليهم وتقدمنا إليه في الأعذار والأنذار إليكم في الأنابة والتوبة، قبل الوقوع بكم، فلم يزل مع طي المراحل نحوكم، يتابع كتب مع رسوله كيدا في الحجة عليكم، مرة بالوعد ومرة بالوعيد، تارة باللين وتارة بالتشديد. يدعوكم إلى الطاعة والنزوع عما أنتم عليه من المعصية والظلال، والقبض على عدو الله فيكم أن تمادى على ما هو عليه من الغي والظلال إن استطعتموه والبراءة منه وتركه بجانب إن لم تقدروا عليه. ووصلت كتبه إليكم، وأدى إليكم من اختار به منكم.

وكل ذلك وأنتم على باطلكم مسرون، وبالفاسق المظل متمسكون الى ان وصلتجيوشنا بقربكم، وانتشرت عساكرنا ببلدكم وعاين من عاينكم من عيون عدو الله

من جمعها وعتادها وقوتها وما أنهاه اليه، وقد علم انه لا طاقة لكم ولا له بعسكر من عسكرها، فما نزلت بداركم وأنتم مع الفاسق على ما أنتم عليه، نهض موليا وهاربا متسللا بين أظهركم، وقد كنتم تقدرون على أخذه لو أردتموه، ويمكنكم منعه من ذلك، ومن حصاره في داره متى احببتموه لو أخذتم بحظكم في ذلك فقتلتموه، لكنكم أقمتم مصرين على طاعته وتلبيته إلى أن نزع عنكم وأقدرنا الله بفضله وإحسانه كعادته الجميلة بلا صنع ولا لغيركم في ذلك، وأقدرنا عليكم وأمكننا منكم، وأنتم على ما أنتم عليه من غيكم و ظلالكم وما تستوجبون به اجتياحكم ودماركم فسار عبدنا فيكم بما أمرناه من العفو والصفح والرحمة وانصرف عنكم، فأحدثتم بعده ما أحدثتم، فماذا تستحقون أن يفعل بكم؟ فقال قائلهم:أن يعاقب أمير المؤمنين أهل العقرية، وأن بعض فهو أهل العفو والفضل والرحمة... فدعا منتصر بن أحمد بن المعتز، فقربه إليه وأمر بالجلوس، فقبل الأرض مرارا وشكر لأمير المؤمنين، ثم لطف على الوفد فقال: قد كنتم تستحقون أليم العذاب والنكال، ولكننا للذيجلبنا عليه من الصفح والعفو والرحمة قد عفونا ما سلف من ذنوبكم ما استقمتم وأصلحتم، قد استعملنا عليكم عبدنا هذا- وأوحى إلى منتصر- فقبل وقبلوا الأرَض مرارا... وأمر بصرفهم الى موضع أنزلهم فيه وخلع على منتصر، وفعل كذلك بجماعة من وجوههم...».

الشكل(3)

نقلا عن إسماعيل عبد الرازق/ الخوارج في المغرب

الشكل رقم (04):

دينار بني مدرار ضرب بسجلماسة سنة أربع وثلاثين وثلاثمئة باسم الشاكر لله

نقلا عن / مجلة الأكاديمية المغربية، عبد الهادي التازي، العملة ودور السكة في المغرب

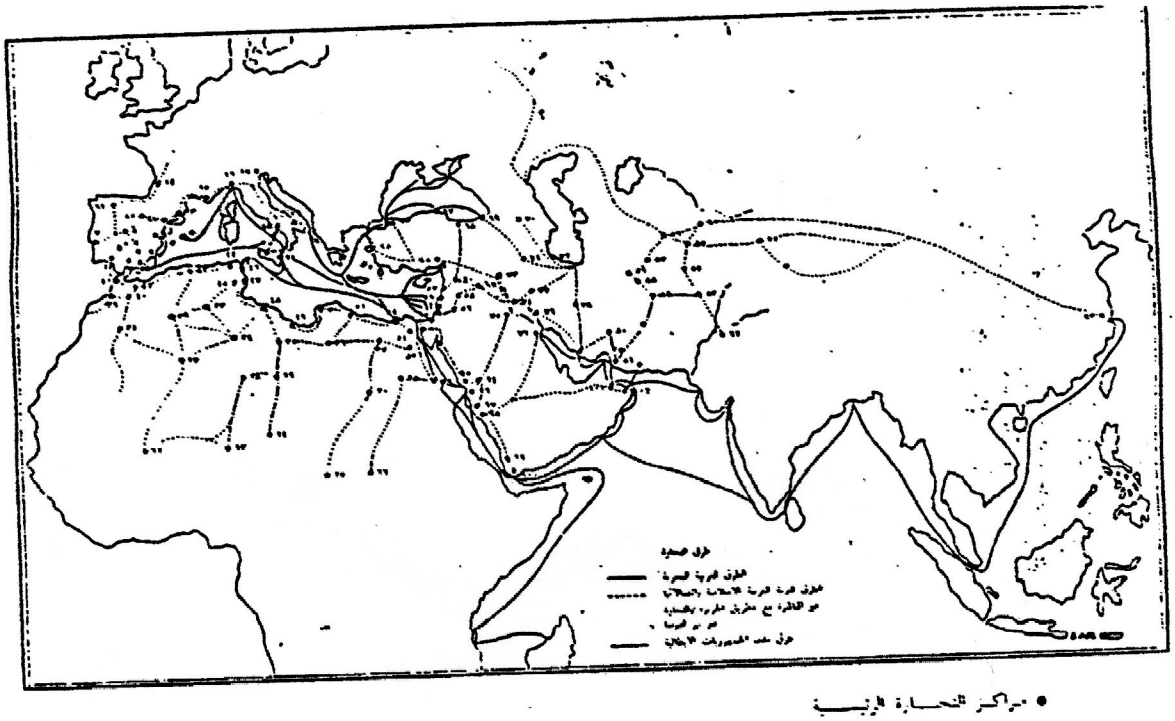

الشكل رقم (05)

مراكز التجارة الرئيسية

نقلاً عن / جون س . بادو وآخرون ، الجغرافية العربية ينبوع النهضة .

قائمة المراجع

قائمة البيبلوغرافيا

❖ قائمة المصادر:

1- الأشعري، أبي الحسن: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تصحيح ريتر، هلموت، ط3، فرانز شتايز للنشر، بفيسبادن، 1980.

2- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، مج4، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 1987.

3- ابن أبي زرع، أبي الحسن علي: الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، ب ط، صور للطباعة، الرباط، 1972م.

4- البكري، أبي عبيد: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغربوهو جزء من كتاب المسالك والممالك، ب ط، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، بدون سنة.

5- البغدادي، طاهر بن محمد: الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم(عقائد الفرق الإسلامية وآراء كبار أعلامها)، تحقيق الحشين، محمد عثمان،ب ط، مكتبة ابن سينا، القاهرة، بدون سنة.

6- ابن وردان: تاريخ مملكة الأغالبة، تحقيق زينهم، محمد وغريب، محمد، ط1، مكتبة مدبولي،

7- القاهرة، 1988م.

8- إسماعيل، عماد الدين المعروف بأبي الفداء: تقويم البلدان، تحقيق رينود وديسلان ماك كوكين، ب ط، دار الطباعة السلطانية، باريس، 1850م.

9- الإصطخري، أبو إسحاق إبراهيم، : المسالك والممالك، بدون طبعة، القاهرة، 1961م.

10- ابن حوقل، ابن القاسم النصيبي: صورة الأرض، ب ط، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت لبنان، 1995هـ.

11- الحموي، شهاب الدين أبي عبد اللّه: معجم البلدان، مج3، دار صادر، بيروت، دون سنة.

12- الحميري، محمد عبد المنعم: الروض المعطار في خبر الأقطار(معجم جغرافي مع فهارس شاملة) تحقيق عباسن إحسان، ط1، مكتبة لبنان، بيروت، 1975م.
13- المراكشي، ابن عذارى: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج1، ط2، تحقيق س كولان وليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، 1983.
14- الناصري، أحمد بن خالد السلاوي: الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج1، ب ط، تحقيق الناصري، جعفر النصري، محمد، دار الكتاب، المغرب، 1954م.
15- القاضي، النعمان: افتتاح الدعوة، تحقيق الدشراوي، فرحات، ط2، الشركة التونسية، 1996م.
16- القلقشندي، أبي العباس أحمد: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج5، ب ط، دار الكتب الخيديوية، القاهرة، 1915م.
17- الشريف، الإدريسي: المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، مطبع برين، بدون طبعة، 1989م.
18- ابن الخطيب، لسان الدين: تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط، مأخوذ من كتاب أعمال الأعلام، القسم الثالث، تحقيق العبادي، أحمد مختار والكتاني، محمد إبراهيم، دار الكتاب،الدر البيضاء، 1964م
19- ابن خلدون، عبد الرحمن: ديوان العبر، تحقيق شحادة، خليل، مراجعة زكار، سهيل، ج6، ب ط، دار الفكر للطباعة، لبنان، 2000م.

❖ قائمة المراجع العربية:

1- أيوب، إبراهيم: التاريخ العباسي السياسي والحضاري، ط1، الشركة العلمية، للكتاب، لبنان، 1989م.
2- أمين، أحمد: ضحى الإسلام، ج3، ط7، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1973م

3- إسماعيل، محمود: الأدارسة(172هـ_375هـ)، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1991م.
الأغالبة(184_ 296هـ) سياستهم الخارجية، ط3، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية، الهرم، 2000م.
4- جمال الدين، عبد اللّه محمد: الدولة الفاطمية(قيامها ببلاد المغرب وانتقالها إلى مصر إلى نهاية القرن الرابع هجري)، ب ط، دار الثقافة، القاهرة، 1991م.
5- الجنحاني، الحبيب: بحوث في تاريخ الحضارة الإسلامية(الحياة الاقتصادية والاجتماعية في سجلماسة)، بدون طبعة، مؤسسة شباب الجامعة، 1997م.
6- الدوري، عبد العزيز: العصر العباسي الأول(دراسة في التاريخ السياسي والإداري والمالي)، ط1، دار الطليعة للنشر، بيروت، 1945م.
7- زغلول، عبد الحميد سعد: تاريخ المغرب العربي(تاريخ الدول الأغالبة والرستميين وبني مدرار والأدارسة حتى قيام الفاطميين)، ج2، ب ط، منشأة المعارف للنشر، الإسكندرية، بدون سنة.
8- أبو زهرة، محمد: تاريخ المذاهب الإسلامية في السيلسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية،بدون طبعة، بدون سنة.
9- الحوالي، سفر بن عبد الرحمن: أصول الفرق والأديان والمذاهب الفكرية، ط2، المكتبة العربية للنشر، القاهرة، دون سنة.
10- حسن، إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ج1، ط4، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1996م.
11- الطالبي، محمد: الدولة الأغلبية(التاريخ السياسي 184، 296هـ/800، 909م)، مراجعة الساحلي، حمادي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985م.
12- اليحي، يحي بن إبراهيم: الخلافة الراشدة والدولة الأموية من فتح البارئ، تحقيق العمري، أكرم ضياء، ب ط، دار الهجرة، للنشر، عمان، بدون سنة.
13- لقبال، موسى: المغرب الإسلامي، ط2، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، 1951م.

14- مؤنس، حسين: معالم تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة الأسرة الفنية، ط ج، 2003.

15- مؤنس، حسين: تاريخ المغرب وحضارته.

16- مؤنس، حسين: فجر الأندلس.

17- محمد، محمد أمين والرحمن، محمد علي: المفيد في تاريخ المغرب، ب ط، دار الكتاب، المغرب، بدون سنة.

18- محمود، حسن أحمد والشريف، أحمد إبراهيم: العالم الإسلامي في العصر العباسي، ب ط، دار الفكر العربي، القاهرة، 1916م.

19- ناجي، عبد الجبار وآخرون: الدولة العربية الإسلامية في العصر العباسي، ب ط، مركز الإسكندرية للكتاب، القاهرة، 2006م.

20- نهلة، شهاب أحمد: تاريخ المغرب العربي، ط1، دار الفكر، عمان، 2010م.

21- سوادي، محمد: دراسات في تاريخ المغرب العربي من القرن الثالث الهجري حتى القرن الرابع هجري، مطبعة التعليم العالي، جامعة البصرة، بدون طبعة، 1989م.

22- سعدون، نصر اللّه عباس: دولة الادارسة في المغرب(العصر الذهبي 173_223هـ/ 788_ 835م)، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 1987م.

23- أبو سعدة، محمد: الخوارج في ميزان الفكر الإسلامي، ط2، كلية الآداب بجامعة حلوان، القاهرة، 1998م.

24- عبد العزيز، سالم السيد: تاريخ العرب منذ ظهور الإسلام حتى سقوط الدولة الأموية، ب ط، مؤسسة شباب الجامعة، 2010م.

25- عبد الرازق، محمود إسماعيل: الخوارج في بلاد المعرب حتى منتصف القرن الرابع الهجرين ط2، دار الثقافة، المغرب، 1985م.

26- عبد الرؤوف الفقي، عصام الدين: تاريخ المغرب والأندلس، ب ط، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، بدون سنة.

27- العيدروس، محمد حسن: المغرب العربي في العصر الإسلامي، ط1، دار الكتاب الحديث، القاهرة، 2002م.
28- العروي، عبد اللّه: مجمل تاريخ المغرب، ط5، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1996م.
29- الفيومي، محمد إبراهيم: تاريخ الفرق الإسلامية السياسي والديني(الخوارج والمرجئة)، ك1، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة، 2003م.
30- فيلالي، عبد العزيز: العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب، ط2، دار الفجر للنشر، القاهرة، 1999م.
31- الصلابي، علي محمد محمد: صفحات من التاريخ الإسلامي في الشمال الإفريقي(عصر الدولتين الأموية والعباسية وظهور فكر الخوارج)، ط1، دار البيارق، الأردن، 1998م.
32- شاكر، محمود: التاريخ الإسلامي للدولة العباسية، ج1، ط6، المكتب الإسلامي للنشر، بيروت، 2000م.
33- الشكعة، مصطفى: إسلام بلا مذاهب، ط6، الدار المصرية اللبنانية، بدون سنة.
34- الخربوطلي، علي حسن: أبو عبد اللّه الشيعي مؤسس الدولة الفاطمية، بدون طبعة، المطبعة الفنية الحديثة، بدون بلد، 1972م.

❖ قائمة المراجع المترجمة:

1- الدشراوي، فرحات: الخلافة الفاطمية بالمغرب(296_365هـ/ 909_ 975م) التاريخ السياسي والمؤسسات، ترجمة الساحلي، حمادي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بدون بلد، 1994م.
2- مارسيه، جورح: بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى، ترجمة هيكل،محمود عبد الصمد، مراجعة أبو ضيف أحمد، مصطفى، ب ط، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1999م.

3- فيلهوزن، يوليوس: أحزاب المعارضة السياسية والدينية في صدر الإسلام(الخوارج والشيعة)، ترجمة بدوي، عبد الرحمن، ب ط، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1958م.

المذكرات:

1- منصور، عبد الحفظ: الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في عهد الإمارة الرستمية(144هـ_ 296هـ)، مذكرة تخرج، معهد العلوم الاجتماعية، جامعة قسنطينة،1983/ 1984م.

الموسوعات:

2- الحنفي، عبد المنعم: موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية، ط1، دار الرشاد، 1993م.

3- طهبوب، صلاح: موسوعة التاريخ الإسلامي (العصر الأموي)، ب ط، دار أسامة للنشر، عمان، 2009م.

4- **الدوريات:**

5- ليبدري، بلخير: مجلة المقتطف المصري التاريخية، بعنوان التاريخ الإسلامي والوسيط(العلاقات السياسية بين الدولة الرستمية ودول المغرب الإسلامي خلال القرنين الثالث هجري التاسع ميلادي)، العدد5، السنة2، يونيو2010م.

6- سادسة حلاوي، حمود: مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية، بعنوان اختلاف المؤرخين في تحديد نهاية الدولة المدرارية في بلاد المغرب، العدد7، السنة الرابعة، 2012م.

فهرس الأعلام

فهرس الأعلام

1. إبراهيم بن الأغلب: 41، 42.
2. أبو العباس السفاح: 44.
3. أبي بلال مرداس: 26.
4. إدريس بن عبد اللّه: 40، 41.
5. الأغلب: 41.
6. أوس الأنصاري: 21.
7. بشر بن صفوان: 21.
8. بلج القيشري: 28.
9. الحجاج بن يوسف: 19، 20.
10. حرقوس بن زهير: 26.
11. حنضلة بن صفوان: 29.
12. خالد بن أبي حبيب: 27.
13. زياد بن الأصفر: 18، 24، 25.
14. سليمان بن عبد الملك: 20.
15. عاصم بن جميل: 29.
16. عبد الأعلى بن السمح المعافري: 29، 42.
17. عبد الجبار بن قيس: 29.
18. عبد الرحمن بن حبيب: 29.
19. عبد الرحمن بن رستم: 42.
20. عبد الرحمن بن معاوية: 43.
21. عبد اللّه بن أباض: 15، 18.

22. عبد اللّه بن صفار: 24.
23. عبد اللّه بن وهب الراسبي: 26.
24. عبد الملك بن أبي الجعد: 30.
25. عبد الملك بن مروان: 18.
26. عبيد اللّه الشيعي: 35، 57.
27. عبيد اللّه المهدي: 35، 36، 54، 56.
28. عبيد اللّه بن الحبحاب: 27.
29. عثمان بن عفان: 16.
30. عثمان بن ناهيك: 41.
31. عكاشة بن أيوب: 28، 29.
32. عكرمة مولى بن العباس: 27، 34.
33. علي بن أبي طالب: 15، 16.
34. عمر بن الخطاب : 15، 18.
35. عمر بن حفص: 30.
36. عمران بن حطان: 26.
37. كلثوم بن عياض: 28.
38. الليث بن سعد: 29.
39. محمد بن الأشعث: 30، 44.
40. مروان بن عبد الملك: 18.
41. مصالة بن حبوس: 36
42. المهلب بن أبي صفرة: 19، 24.
43. موسى بن نصير: 20.
44. ميسرة المطغري: 27، 28.

45. نافع بن الأزرق: 16.
46. نجدة بن عامر: 17، 18.
47. هرثمة بن أعين: 42.
48. هشام بن عبد الملك: 27، 28، 29.
49. يحي بن عبد اللّه: 40.
50. يزيد بن أبي مسلم: 20.
51. يزيد بن حاتم: 30.

فهرس الأماكن

فهرس الأماكن

1. **إفريقية: 21، 35، 44.**
2. **الأندلس: 40، 43.**
3. **بلاد السودان: 31، 36، 39، 45، 49، 50، 55.**
4. **تيهرت: 39، 51، 54.**
5. **حروراء: 15.**
6. **خليج سرت: 29.**
7. **صقلية: 21.**
8. **طرابلس: 29.**
9. **طنجة: 21، 28.**
10. **غانة: 31.**
11. **فاس: 51.**
12. **قابس: 29.**
13. **قرطبة: 43، 44.**
14. **القيروان: 29، 30، 41.**
15. **مصر: 30.**
16. **المغرب الأقصى: 27، 40، 54، 55.**

17. **مكناسة: 27، 32، 41.**

18. **وادي درعة: 31، 41، 49.**

19. **ورفجومة: 41.**

فهرس

فهرس الموضوعات

كلمة شكر

إهداء

مقدمة

الفصل التمهيدي: نشأة الخوارج انقساماتهم وفرقهم ودخولهم إلى بلاد المغرب

الفصل الأول: تأسيس الدولة المدارية

المبحث الأول: مرحلة الدعوة **24**

أولا: تعريف المذهب الصفري **24**

ثانيا: أهم المبادئ الصفرية **25**

ثالثا: ثوراث الصفرية في المغرب **26**

المبحث الثاني: مرحلة التمكين والاستقرار **31**

أولا: التعريف بموقع سجلماسة **31**

ثانيا: بناء المدينة وتأسيس دولة بني مدرار **32**

ثالثا: حكام الدولة وجهودهم السياسية **34**

الفصل الثاني: علاقات الدولة المدرارية المتواجدة

المبحث الأول: العلاقات الداخلية مع دول المغرب **39**

أولا: مع الدولة الرستمية **39**

ثانيا: مع الدولة الأغلبية **40**

ثالثا: مع الدولة الإدريسية **40**

المبحث الثاني: العلاقات خارج المغرب **43**

أولا: مع الأمويين في الأندلس **43**

ثانيا: مع العباسيين في المشرق **44**

ثالثا: مع بلاد السودان **45**

الفصل الثالث: الجانب الاقتصادي والاجتماعي للدولة وسقوطها

المبحث الأول: الجانب الاقتصادي 47

أولا: الرعي والزراعة 47

ثانيا: الصناعة 49

ثالثا: التجارة 50

المبحث الثاني: الجانب الاجتماعي وسقوط الدولة 54

أولا: عناصر المجتمع 54

ثانيا: العادات والتقاليد 55

ثالثا: سقوط الدولة 56

خاتمة 59

الملاحق

فهرس الأعلام

فهرس الأماكن

فهرس الموضوعات